مكتبة ديدات

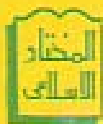
٢٦

أحمد ديدات

الحل الإسلامي للمشكلة العنصرية

ترجمة وتعليق

محمد مختار



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

الحمد لله رب العالمين الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق للناس كافة وكرم بنى آدم كلهم جميعا وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا وجعل أكرمهم عنده أتقاهم . وأصلى وأسلم على محمد الرسول النبى الأمى وعلى آله صلاة وتسليما كثيرا..

صلاة تليق بمن قال:

« لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأعجمى على عربى إلا بالتقوى » .

وتسليما يكافىء من أمر:

«إسمعوا وأطيعوا لمن ولى عليكم وإن كان عبدا حبشيا رأسه زبيبة »...!!

أما بعد...

فهذه رسالة عن العنصرية وموقف الأديان والملل المختلفة

منها، وهى تبين كيف حل الإسلام المشكلة العنصرية، كما حل المشكلات البشرية الأخرى.

وتنقسم هذه الرسالة إلى ثلاثة أقسام:

الأول: تمهيد لنا وعنوانه: «المسألة العنصرية بين اليهودية والمسيحية والإسلام». والثانى: بقلم الداعية الإسلامى المجاهد أحمد ديدات. تحت عنوان

«مفهوم العلاقة بين الله والبشر فى الأديان السماوية الثلاثة وأثره على العلاقات بين البشر».

أما الثالث: فهو محاضرة بعنوان: «الحل الإسلامى للمشكلة العنصرية» ألقاها الدبلوماسى الألمانى المسلم: محمد آمان أوبوم الذى عمل ضمن البعثة الدبلوماسية بسفارة ألمانية الغربية (قبل الوحدة)[١] فى

(١) اتحدت الألمانيتان فى أكتوبر سنة ١٩٩٠ بعد المسيح .

سرى لانكا، وذلك فى إحدى المؤتمرات الإسلامية العالمية التى عقدت مؤخرا فى لندن.

ويعرض لنا الدبلوماسى الألمانى المسلم تجربته الشخصية حيث عايش بنفسه الحكم العنصرى البغيض فى ألمانيا النازية[1] من خلال سيطرة نظرية « الهرينفولك » (Herrenvolk) : أى الشعب السيد أو السيادة الشعبية أو " الهرينراس". (Herrenrasse): أى الجنس أو العرق السيد أو السيادة الجنسية أو العرقية، والتى تقول بسيادة وتفوق الشعب أو الجنس أو العرق الألمانى أو الجرمانى الذى يجب أن يسود ويهيمن هيمنة مطلقة ـ وفقا لهذه النظرية العنصرية ـ على جميع الأجناس والأعراق والشعوب الأخرى فى جميع أنحاء العالم..

---

(١) (النازية): نسبة إلى كلمة : (نازى) (Nazi) وهى اختصار لاسم: «الحزب الاشتراكى القومى الألمانى» الذى سيطر على ألمانيا بزعامة «أدولف هتلر» فى سنة ١٩٣٢ إلى سنة ١٩٤٥ بعد المسيح.

ثم يقدم لنا الألمانى المسلم محمد آمان على الجانب الآخر تجربته مع الإسلام وكيف حل الإسلام ـ فى نظره ـ مشكلة العنصرية.

وقد اختار الداعية المجاهد الأستاد أحمد ديدات هذه المحاضرة الشاملة وقام بطبعها ونشرها باللغة الإنجليزية لتصدر عن المركز العالمى للدعوة الإسلامية بدربان فى جمهورية جنوب إفريقية والذى يشرف عليه ديدات.

وعنوان المحاضرة بالانجليزية هو:

(Islam's Answer to the Racial Problem)

وترجمته «الحل الإسلامى للمشكلة العنصرية» .

أسأل المولى تبارك وتعالى أن أكون قد وفقت فى تقديم هذا العمل، كما أسأله سبحانه أن يعلمنا ماينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يهدينا للعمل به إنه خير مسئول.

والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المترجم

٢٥ صفر الخير سنة ١٤١٣ هـ

الموافق ٢٤ اغسطس سنة ١٩٩٢ بعد المسيح

المسألة العنصرية
بين
اليهودية والمسيحية
والإسلام

The Question of Racism in
Judaism, Christianity and Islam

1- A Heritage of Hatred:

تظهر الأسفار المقدسة لأهل الكتاب بوضوح مصدر العنصرية والبغضاء التى قد تبدو من أفواههم والكراهية والعداوة التى يكنها بعضهم للعرب والمسلمين وأبيهم إسماعيل عليه السلام[١].

٢- أهل الكتاب والحرب:

2- The People of the Scripture and war:

وإذا نحن أردنا أن نعرف موقف أهل الكتاب من الحرب يجب علينا أن نرجع إلى مصادرهم المعتمدة وأسفارهم

---

(١) (التكوين ١٦ : ٦، ٨، ٩، ١٢؛ ١٧ :١٨ ـ ٢١؛ ٢١ :٩ ـ ١١؛ (٢٢: ١ـ٢) ، (التثنية ٣٢: ١٩ ـ٢١)، راجع الهامش رقم (١) ص١٩ ـ ٢١ من كتاب : محمد (صلى الله عليه وسلم) المثال الأسمى للأستاذ أحمد ديدات وك. س. را مكرشنة راو أستاذ الفلسفة بجامعة ميسور فى الهند. وقد قمت بترجمته والتعليق عليه وصدر عن المختار الإسلامى بالقاهرة ضمن سلسلة «مكتبة ديدات».

المقدسة

إن ملك المسيح عيسى على الأرض وفقا لعقائد النصارى - فريضة ثابتة يجب على أتباعه الإيمان بها[١] ولكن بعض الأناجيل تخبرنا أن المسيح عيسى أمر بذبح أعدائه الذين رفضوا ملكه عليهم [٢].

أما الإسلام فينهى عن قتال الذين لم يقاتلوا المسلمين فى الدين (من جميع الملل) ولم يخرجوهم من ديارهم أو يظاهروا على إخراجهم [٣]

٣ - رحمة الإسلام فى ساحة القتال: Islam's Mercy in the Battlefield:

لقد كانت أوامر رسول الله ﷺ للمجاهدين واضحة ومحددة . فقد أوصاهم بالالتزام بآداب الإنسانية حتى فى قتل العدو. فأوصاهم بعدم التمثيل بجثث القتلى أو

---

(١) (لوقا ١ :٣٣).

(٢) (لوقا ١٩ :٢٧).

(٣) (الممتحنة: ٨ ,٩)

تشويهها وبعدم قتل الولدان والنساء والشيخ الفانى وأصحاب الصوامع (الرهبان فى الأديرة) وعمال العدو الذين يستخدمهم بالأجر لغير القتال. كما أمرهم بعدم الغدر وبعدم الاختلاس من الغنائم.

وتاريخ الجهاد الإسلامى يؤكد أنه لم يبدأ باجتياح مساكن المدنيين ولا يغير عليها إلا إذا بدأ العدو بذلك. (١)

٤- العفو عند المقدرة خلق إسلامى:

4- Pardon NOT Revenge is an Islamic Nature:

كثيرة هى آيات القرآن الكريم التى تحض على الصفح والعفو والأخذ به، وتمتدح المتصفين بخلق العفو عن الناس (بصرف النظر عن عقيدتهم أو ملتهم). (٢)

وقد كانت قصة فتح مكة هى الدليل على تمسك الرسول

---

(١) أنظر (ص٨٠ ـ ٨٣) من كتاب: (الجهاد الإسلامى: دراسة علمية فى نصوص القرآن، وصحاح الحديث، ووثائق التاريخ) للدكتور أحمد غنيم نشر دار الإنسان بالقاهرة (١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٥ ب.م.).

(٢) (البقرة: ١٠٩) و (المائدة:١٣) و (النور: ٢٢) و االشورى: ٤٠) و(الأعراف:١٩٩) و (آل عمران:١٣٤).

ﷺ بتوجيهات ربه سبحانه وتعالى والتزامه بها وهى التطبيق العملى لهذه الوصايا الأخلاقية التى أنزلها الله فى كتابه العزيز.

ولقد كان يحق للرسول ﷺ الثأر من القرية التى عذبته هو وأتباعه وأخرجته هو وقومه، وذلك حينما دخلها فى أوج قوته فاتحا منصورا، وهى خاضعة له تماما فى ذلك الحين. ولكن أى معاملة تلك التى قابل أهلها بها؟ لقد عفا عنهم وأطلق سراحهم وقال كلمته الخالدة: " لا تثريب عليكم اليوم. إذهبوا فأنتم الطلقاء!" ومن قبل قال: " من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن"(١)

والآن قارن ذلك بالسلوك الدموى للفاتحين تحت قيادة بعض خلفاء أنبياء بنى إسرائيل كما تخبرنا مصادر أهل

---

(١) أنظر كتاب : «زاد المعاد فى هدى خير العباد» لابن قيم الجوزيه (١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ ب.م). نشر المكتبة التوفيقة بالحسين (م١ جـ٢ ص ١٦٣ ، ١٦٥).

الكتــاب المقدســة، وذلك حينمــا استولــوا على مدينة (أريحا) وأبادوا سكانها عن آخرهم: الرجال والنساء والأطفال والشيوخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف، ثم أحرقوا المدينة بكل مافيها(١).

٥ - الإخاء والمساواة فى الإسلام

5- Brotherhood and Equality in Islam:

لقد جعل الإسلام الإخاء بين البشر قرين الإيمان ومن مستلزماته.(٢)

ويقرر الإسلام أن الناس سواسية وأنهم خلقوا من نفس واحدة (٣) ويقرر أيضا أنه لا تفاضل بين الأجناس والأعراق والشعوب إلا بالتقوى. وأن كرامة الإنسان يمكن

(١) (يشوع ٦: ٢٠، ٢١، ٢٤).

(٢) (الحجرات: ١٠)

(٣) (النساء: ١)

تحقيقها فقط حينما يعرف الإنسان الغاية من خلقه ويجتهد في تحقيقها. وأن التفاضل فى الكرامة ليس لأحد من البشر أن يدعيه أو يقرره وإنما الذى يقرره هو خالقهم سبحانه وتعالى الذى يعلم تقوى خلقه وهو مطلع على نواياهم[١].

٦- الحج التجسيد الحقيقى لمعنى وحدة البشــــر :

6- " Al - HAGG" (The Pilgrimage): The True Personification of the Meaning of Mankind's Unity:

إن اجتماع الحجيج من أجناس وألوان شتى فى صعيد واحد خلال موسم الحج من كل عام فى مايمكن وصفه بـ "المؤتمر السنوى العالمى للوحدة الإسلامية." حيث تتأكد وحدة توجه ووحدة مصير الأمة الإسلامية.

---

(١) (الحجرات:١٣)

كما إنه يسوى بين جميع الفروقات فى المكانة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية معلنا بوضوح وجلاء الحقيقة الإيمانية لقول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم: " إنا لله وإنا إليه راجعون"(١)

٧ - الإسلام يقضى على الكبرياء والهوى:

7 - Islam Abolishes Pride and Prejudice:

لقد كان العرب قوما شديدى التفاخر بالأنساب. ولم يكن العرب وحدهم أصحاب حمية قومية جاهلية فقد سبقهم فى هذا المجال بنى إسرائيل الذين اعتقدوا أن الله اختارهم لفضيلة فى ذاتهم وأنهم شعب الله المختار وأنهم مفضلون على غيرهم من الأمم والشعوب تفضيلا مطلقا بلا شروط ولا قيود.

---

(١) (البقرة: ١٥٦)

ولقد قال بولس أحد أكبر المساهمين فى تأسيس المسيحية كما هى معروفة اليوم، وتطويرها ونشرها فى أوروبا، متحدثا عن بنى إسرائيل، بنى جلدته فى إحدى رسائله التى تشكل القسم الأكبر فى " العهد الجديد" من كتاب النصارى المقدس، " لأننا لسنا أبناء جارية بل أبناء حرة" وذلك فى إشارة واضحة منه إلى أبناء «الجارية» هاجر أم العرب والمسلمين من بعد و«الحرة» سارة أم اسحاق ابن يعقوب (إسرائيل) وجد بنى إسرائيل واليهود من بعد. ونظرة بولس هذه هى - للأسف - نفس النظرة العنصرية الاستعلائية والاستكبارية التى ينظرها صهاينة اليهود والنصارى والصليبيون الجدد أصحاب هذا التراث المسيحى اليهودى (Judeo-Christian legacy) المشترك، اليوم إلى المسلمين والعرب.

وقد بعث رسول الله ﷺ فى زمان كانت تفوح فيه رائحة الكبرياء والهوى من أكثر من مكان فى العالم.

فجاء ﷺ بالقرآن الكريم كلام الله الذى يقول: " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم" (الحجرات:١٣).

وقد أكد ﷺ أنه لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأعجمى على عربى ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى . كما أكد ﷺ أن الله لا ينظر إلى صور خلقه وألوان بشرتهم ولكن ينظر إلى قلوبهم .

وقد أثبت التاريخ قضاء الإسلام على الكبرياء والهوى قضاء مبرما وذلك فى قصة ابن القبطى الذى تسابق مع ابن عمرو بن العاص وكان واليا على مصر فسبق ابن القبطى ابن عمرو بن العاص فضربه الأخير وسافر القبطى إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بالمدينة يشتكى عمرو بن العاص وابنه . فأرسل عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص وقال له كلمته الخالدة: " متى استعبدتم الناس وقد خلقهم الله أحرارا ؟!" ومكن ابن القبطى من القصاص

من بن عمرو بن العاص.

٨- المرأة فى الإسلام:

8- Islam and Woman:

ينظر الإسلام إلى المرأة على أنها خلقت كالرجل من نفس واحدة [١]. ولذلك فإن الرجل والمرأة يملكان نفس الروح وقد منحا قدرات متساوية من المواهب العقلية أو الفكرية والروحية أو الدينية والأخلاقية.

ولقد أعطى الإسلام للمرأة الحق فى الحياة والحرية وقد كانت توأد من قبل وتورث. ويقرر الإسلام أن للمرأة شخصيتها المدنية وذمتها المالية المستقلة قبل زواجها وبعده. وأعطاها الإسلام الحق فى أن ترث وتشهد وتبيع وتشترى.

كما أن الإسلام لم يسمح للمرأة بالتعلم والتعليم فحسب، بل إنه جعل ذلك من الفرائض والواجبات الدينية[١].

---

(١) (النساء:١)

وبذلك يكون الإسلام قد جعل المرأة تشارك فى البناء الروحى والفكرى والمادى وبجملة البناء الحضارى، للأمة، وهى جميعها حقوق ومجالات كانت محرومة منها ومحظورة عليها فى الشرائع الأخرى قبل أن يقررها الإسلام.

٩- الإسلام والرق:

9- Islam and Slavery:

إن الإسلام لم ينشىء نظام الرق ولم يشجعه ولم يدع إليه. بل إن الشريعة الإسلامية قيدت الرق وعملت على إلغائه بالتدريج بأن جعلت كفارة بعض الذنوب تحرير رقاب العبيد.(١) أما شريعة بنى إسرائيل فقد كانت تعمل على

(١) قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: " طلب العلم فريضة على كل مسلم" أى على كل فرد مسلم، رجلا كان أم امرأة: وأنظر (الأحزاب:٣٤). وقارن مع (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ١٤: ٣٤، ٣٥)و(رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٢: ١٢).

توسيع نطاق الرق بأن جعلت جزاء السرقة أن يسترق السارق ويفقد حريته ويصبح ملكا للمسروق.[٢]

كما دعت الشريعة الإسلامية إلى عتق العبيد والإماء والإعانة على ذلك بالمال، وجعلت ذلك من أعمال البر التى يأجر الله عليها أجرا حسنا [٣].

١٠- تسامح الإسلام مع أهل الكتاب:

10- Islam Tolerates the People of the Scripture:

إن مبدأ " لا إكراه فى الدين"[٤] مبدأ إسلامى معروف. وقد أمر الإسلام بحسن معاملة الناس أيا كانت دياناتهم أو عقائدهم وأمر أتباعه بمجادلة أهل الكتاب ومحاورتهم بالحسنى ومقارعة الحجة بالحجة ومطالبتهم بالبرهان.

---

(١) (النساء:٩٢) و (المائدة:٨٩) و (المجادلة:٣)

(٢) (يوسف:٧٥)

(٣) (البقرة:١٧٧) و (التوبة: ٦٠).

(٤) من الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

ولم يأمر الإسلام بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا.

بل إنه حينما حمل المسلمون الرسالة التى كلفوا بنشرها، إلى مصر وكانت ولاية تحت الحكم الرومانى المسيحى، وقد تقابل جند المسلمين وجند المقوقس والى مصر للروم، نصح عمرو بن العاص أمير جيش المسلمين قادة جيش المقوقس بعدم التعجل فى القتال حتى يناقش كبير القبط والأسقف فلما برزا إليه بين لهم أن سبب مجيئه إلى مصر إنما هو استجابة لله سبحانه وتعالى ولرسوله ﷺ ثم دعاهم إلى الإسلام وأخبرهم أنهم إن أجابوا صاروا مثله ومن لم يجبه عرض المسلمون عليه الجزية وبذلوا له المنعة وذكر لهم نبوءته ﷺ بفتح مصر ووصيته بهم خيرا.

وقد ذكر المؤرخون المسلمون أن معاوية بن أبى سفيان وضع الجزية عن أهل " حفن" (موطن مارية القبطية زوج رسول الله ﷺ) وهى بلدة من كورة " أنصنا" على البر الشرقى للنيل تجاه " الأشمونيين" بصعيد مصر، إكراما

لصهر المصطفى ﷺ [1]

١١- الرسالة العالمية

11- The Universal Message:

لقد كانت الرسالات السماوية السابقة على الإسلام رسائل خاصة لأقوامهم بعينهم[2] أما رسالة الإسلام فهى تتميز بأنها رسالة عامة. فهى رسالة للناس كافة من أجناس وشعوب وألوان مختلفة.

وهى رسالة عالمية لأنه يقبلها أناس ذوى مستويات متباينة من الذكاء والتعليم والثقافة ، رسالة يفهمها أناس بسطاء وعلماء، رسالة واضحة بيضاء نقية لاغموض فيها

---

(١) أنظر مقال للأستاذة الدكتورة عائشة عبد الرحمن (د. بنت الشاطىء) بعنوان : «مصريتان فى النسب الزكى والبيت النبوى، حديث الوصية بأهل مصر فى وثائق التاريخ» نشر بالصفحة الخامسة من صحيفة الأهرام القاهرية بتاريخ ٢٤ ذى الحجة ١٤١٢ هـ الموافق ٢٥ يونيو ١٩٩٢ بعد المسيح.

(٢) متى ١٥:٢٤:٢٦:: ١٠:٥،٦)

ولا أسرار. وهى أيضا رسالة يسيرة ميسرة لا تكلف نفسا إلا وسعها.

أحمد ديدات

مفهوم العلاقة بين الله والبشر في الأديان السماوية الثلاثة وأثره على العلاقات بين البشر

The Concept of God-Man Relationship in the Three Celestial Religions and its Effect on Inter-human Relations

سارة وهاجر:

Sarah and Hagar:

يستمد اليهود عنصريتهم الحاقدة من " كتابهم المقدس"[١] ، حيث يقال لهم إن أباهم إبراهيم كان له زوجتان [٢] هما :

سارة وهاجر. وهم يقولون إنهم أبناء إبراهيم من زوجته "الشرعية" سارة[٣] أما إخوتهم العرب[٤] فهم من سلالة «الجارية» هاجر [٥] ، ولذلك فالعرب هم نسل أدنى منزلة وأقل شأنا فى نظرهم.

الوثيقة اليهودية المقدسة لملكية فلسطين:

---

(١) راجع النصوص الآتية فى الكتاب المقدس اليهودى " أى العهد القديم" :
التكوين ١٦ :٦، ٨.٩.١٢ ١٧ :١٨ -٢١، ٢١:٩.١١، ٢٢:١-٣)
(التثنية ٣٢:١٩ -٢١).

(٢) التكوين ١١:٢٩؛ ١٦:٣).

(٣) (التكوين ١١:٢٩؛ ١٦:١، ٣؛ ١٧:١٥).

(٤) (التكوين ١٦:١٢).

(٥) (التكوين ١٦:١.٣.٥.٦.٨.٩).

The Jewish Holy Title Deed to palestine!

يزعم اليهود أن فلسطين ملك لهم وأن الله قد وعدهم بها استنادا لما جاء فى بعض أسفارهم:

" وأعطى لك (يعنى لإبراهيم) ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعـــان (أى فلسطين) ملـــكا أبديا وأكـــون إلههم) (التكوين ١٧ :٨)

أكبر نكتة فى دولة إسرائيل الأخيرة:

The Biggest Joke in Israel's Last State:

إن أكبر نكتة فى دولة إسرائيل الأخيرة هى أنك لو سألت أى يهودى هناك: " من الذى أعطاك فلسطين؟" فبدون أدنى تردد سيجيب كل يهودى (تحت تأثير وتوجيه وتسلط فكرة سفر التكوين ١٧:٨) قائلا: « الله!» أى أن الله القدير هو الذى أعطى فلسطين لليهود. ولكنك

إذا سألت أكثر من خمسة وسبعين فى المائة (٧٥٪) من اليهود: " هل تؤمنون بالله؟" فإنهم سيجيبون على الفور : "لا!" وعلى الرغم من ذلك فإن هؤلاء الملاحدة واليهود اللاأدريين[1] الماديين الذين لا يؤمنون بالغيب يستخدمون اسم الله زورا فى اغتصاب أرض الفلسطينيين.

من هم نسل إبراهيم عليه السلام:

Who are the Seed of Abraham (P.B.U.H?)

وإذا سألت اليهودى: " من هم نسل إبراهيم؟" فإنه

(اللاأدريون): جمع واحده اللاأدرى. نسبة إلى " اللاأدرية": وهى نزعة فلسفية ترمى إلى انكار قيمة العقل وقدرته على المعرفة. وتطلق على إحدى فرق السوفسطائية عند العرب (مج) . (المعجم الوسيط). وجاء فى " قاموس تشيمبرز للقرن العشرين" أن اللاأدرى (agnostic) هو " من يعتقد أن البشر لا يعلمون شيئا وراء الظواهر المادية. وأن السبب الأول أو العلة الأولى (First Cause)(أى مسبب الأسباب أو الخالق الأصلى لكل شىء) وعالم الغيب أشياء غير معلومة (والبعض قد يزيد) أنه ظاهريا لا يمكن علمها" وكلمة «أغنوسطى» (agnostic)(أى اللا أدرى) استحدثها ت.هـ. هكسلى فى عام ١٨٦٩ بعد المسيح.

سيجيبك بدون أدنى تردد: " نحن اليهود! " لا ريب أنهم أبناء إبراهيم ونسله. ولكن هل هم نسله الوحيد؟ يخبرنا السفر الأول من الكتاب المقدس فى أكثر من اثنى عشر موضعا على الأقل أن اسماعيل عليه السلام أبوالعرب وجد المسلمين كان ابن إبراهيم عليه السلام ونسله[١]. وإذا كان الله ربنا لم يستنكف أن يعترف بإسماعيل كابن ونسل لإبراهيم فى التوراة، فمن نحن لكى نجحده (حقه) وميراثه. حقا إن الله لن يسمح بتعريض حقوق " الابن البكر" للخطر، حتى ولو كان هذا الإبن نسل الزوجة المكروهة. (راجع الثنية ٢١:١٦)[٢].

هل خلق الإنسان على صورة الله وكشبهه؟

---

(١) (التكوين ١٦:١٥؛ ١٧:٢٣؛ ٢٥:٢٦؛٢٥:٩:١٢)

(٢) ونحن بدورنا نأتى بالسياق من أوله حتى يتضح المعنى: " إذا كان لرجل امرأتان، إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له بنين المحبوبة والمكروهة: فإن كان الإبن البكر للمكروهة، فيوم يقسم لبنيه ماكان له لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكرا على ابن المكروهة البكر. بل يعرف ابن المكروهة بكرا ليعطيه =

Was Man Created in the Image of God and after His Likeness?

إن حب البطولة وعبادة الأبطال متأصلة فى نفس الإنسان فإنه لو لم يعبد الله فسوف يعبد ماسواه من شىء فالعبادة ضرورية له.

ومذهب التجسيم والتشبيه [1]

(Anthropomorphism)

الذى يتصور فيه الإنسان أن الله مثله هو مذهب تقليدى. وهو مذهب حديث كما أنه مذهب قديم أيضا. ومن الناس من يعتقد أن الله مثله وأنه على صورته. ألم

= نصيب اثنين من كل مايوجد عنده لانه هو أول قدرته وشريعة بنى إسرائيل له حق البكورية (التثنية ٢١:١٥-١٧) ونفهم منه أن لإسماعيل (عليه السلام) ضعف ميراث إسحاق (عليه السلام)حسب نصوص التوراة.

(١) مذهب التشبيه والتجسيم : " خلع الصفات البشرية على الله". " المورد" (١٩٩٠ بعد المسيح).وجاء أن معناه: " تصور أو تمثيل الإله بأن له شكلا أو خصائص أو صفات الإنسان" قاموس تشيمبرز للقرن العشرين. طبعة الهند (١٩٧٣ بعد المسيح).

يخبرنا الكتاب المقدس المسيحى فى أول إصحاح من أول أسفاره:"وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" (التكوين ١:٢٦) (١)

وفيما يتعلق بكلمة " صورتنا" ، فإن الله لا يعنى شبها بشريا ماديا وجسديا فهو (أى الإنسان) من هذه الوجهة، ليس ببعيد عن فصيلة معينة من فصائل القردة. ولا يمكن لأحد أن يكون مثل الله ماديا أو جسديا لأنه (سبحانه وتعالى) ليس كمثله شىء.

آلهة التمييز العنصرى: (١)

The Gods of Apartheid

---

(١) وجاء أيضا فى نفس السفر " فخلق الله الإنسان على صورته وعلى صورة الله خلقه. ذكرا وأنثى خلقهم". (التكوين ١:٢٧). ولنا أن نسأل: الذكر أم الأنثى خلق على صورة الله وكشبهه؟ فنحن نعلم أن الذكر ليس كالأنثى. فأيهما خلق على صورته وكشبهه؟ ونحن لا ننتظر الإجابة على سؤال لايجب أن يطرح أصلا. ولكن نصوص الكتاب المقدس هى التى تقود إلى مثل هذه الأسئلة. والنتيجة معروفة.. (المترجم).

إن الأنفس المضللة بين البشر لم تتخيل أن الله يشبهها من الناحية المادية والجسدية فحسب، بل إنهم يرونه منحازا وله خصائص عرقية كما قال شاعر مجهول:

" الآلهة الحبشية لها وجنتان برونزيتان[٢]

وشعر جعد وشفاه كشفاه الحبشان.[٣]

وآلهة الإغريق مسنة وجميلة وعيونها حادة مثل اليونان"

ولقد ترك اليونانيون والرومان آلهتهم : "مينرڤا"[٤] (Minerva) و "أبـــــولـــــو" [١] (pollo) و"هرقل".[٢] (Hercules). الخ منذ ألفى عام مضت

---

١) جاء فى الأصل: آلهة « الأبار تايد »: و « الأبار تايد » :(Apartheid) فلسفة سياسية تقتضى فصل الأجناس بعيدا عن بعضهم البعض فى جمهورية جنوب إفريقية (المؤلف).

(٢) (البرونز): أشابة (أى مادة مكونة من إتحاد معدنين أو أكثر أو من اتحاد معدن بغير معدن) من النحاس والقصدير، وقد تشتمل فى بعض الأحيان على نسب قليلة من عناصر أخرى، مثل الزنك والفسفور (مج). (المعجم الوسيط).

(٣) الحبشان) : جمع واحدة الحبشى (والحبش) : جنس من السودان. و(الحبش) أيضا: سكان بلاد الحبشة وهى (أثيوبيا). المعجم الوسيط).

(٤) (مينرفا): إلهة الحكمة عند الرومان المورد (١٩٩٠ب.م)

وفضلوا عليهم إتخاذ أحدث " الآلهة البشرية": أعنى المسيح عيسى. وأصبح هؤلاء الرومان رواد «ميثولوجيتهم»[٣] التى قدموها فى ثوب جديد إلى شعوب أوروبة الغربية التى كانت قد ملت من عبادة آلهتها: "ثور"[٤] (Thor) و"ودا"[٥] (Woden)، ولذا فسرعان ماقبلت العقيدة الجديدة.

وتباعا فقد فرض الأوروبيون بلوى عقيدة التشبيه والتجسيم والتثليث على البلدان التى احتلوها، وقدموا

---

(١) (أبولو): إله الشمس عند قدماء اليونانيين. وعند الرومان المتأخرين، إله النبوة والموسيقى والشعر. قاموس تشيمبرز للقرن العشرين (١٩٧٣ب.م) وقاموس وبستر الجديد للطلبة (١٩٧٧ ب.م).

(٢) (هرقل) : بطل أسطورى جبار من أبطال الميثولوجية الإغريقية. المورد (١٩٩٠ ب.م).

(٣) (الميثولوجية): علم الأساطير والخرافات. قاموس تشيمبرز للقرن العشرين (١٩٧٣ ب.م) والمورد (١٩٩٠ب.م).

(٤) (ثور): إله الرعد والطقس والمحاصيل عند الإسكنديتافيين. قاموس. وبستر الجديد للطلبة (١٩٧٧ب.م)

(٥) (ودا): كبيرالآلهة عند الشعوب الجرمانية. قاموس تشيبرز للقرن العشرين. (١٩٧٣ب.م.)

المسيح إلها بشريا أكثر وسامة من " آلهة" السكان الأصليين فى البلد التى احتلوها. وجعلوا مظهره فى صورهم وتماثيلهم وأفلامهم السينمائية أشبه ما يكون فى التركيبة العظمية لجمجمته ، بالإنجليز والألمان والإسكندينافيين. وإذا قارنت بين مجموعات الصور والتماثيل لدى النصارى والهندوس مثلا، وجدت المسيح إلها بشريا أبيض عند الفريق الأول مقابل «راما» و«كرشنة» ، «الإلهين البشريين الأزرقين»[١] عند الفريق الثانى. ولذلك سوف ترثى لحال أولئك القوم المنقادين لخروجهم " من نقرة ليقعوا فى حفرة ".

الله ليس متحيزا:

God Not Partal

(١) عادة مايرسم "راما" و "كرشنة" الإلهين عند الهندوس باللون الأزرق فى الصور الدينية الهندوسية .(المؤلف)

إن الله القدير ليس متحيزا مع مخلوقاته فيما يتصل بالنعم المادية (التى ينصلح بها حال الجسد) مثل: الهواء النقى والمطر وأشعة الشمس إلخ، فلماذا يكون متحيزا معهم فيما يتصل بالنعم الروحية (هدى الله) ؟ إنه لم يكن متحيزا! فلا يوجد شعب أو مجموعة لغوية على ظهر الأرض لم يعرف الله بأحد أسمائه. وهذه المعرفة وصلت لهم من الخالق نفسه من خلال أفواه رسله الذين اصطفاهم. إننا لا نعرف سوى أسماء قلة قليلة من هؤلاء الرسل أما بقية الأسماء فقد ضاعت أو حجبت بالخرافة.

ومن بين السجلات الدينية العالمية، فإن أسفار اليهود والنصارى المسماة بالكتاب المقدس تعج بأمثلة وصفية مثيرة للصور الذهنية تصور الله بالكلمات حسب شكل الإنسان نفسه.

وعلى الرغم من إنذارات متكررة لبنى إسرائيل فى كتبهم مفادها أن " لا يكن لك آلهة أخرى أمامى . لاتصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة مما فى السماء من

فوق ومافى الأرض من تحت ومافى الماء من تحت الأرض. لاتسجد لهن ولا تعبدهن. لأنى أنا الرب إلهك إله غيور..). (الخروج ٢٠: ١ -٥)

فقد اتخذوا عجلا من ذهب وعبدوه، وعادوا إلى عبادة الأصنام مرارا وتكرارا. وغالبية العالم المسيحى ليست منزهة تماما عن هذه الوصمة.

من هو ابن الله الوحيد المولود؟! (١)

Who is the Only Begotten Son of God ?!

ماذا يحاول المسيحيون تأكيده عندما يقولون : " إن عيسى ابن الله الوحيد المولود" وإنه " مولود غير مخلوق"؟

---

(١) ابن الله الوحيد؟ (Gods Only son?): تجيب دائرة المعارف البريطانية عن هذا السؤال الذى تجعل منه فى نفس الوقت عنوانا فرعيا تحت " مبحث": ا"لمسيح عيسى"(Jesus Christ) بقولها " لا تروى الأناجيل أنه (أى عيسى عليه السلام) استعمل هذا اللقب (أى لقب ابن الله) لنفسه فى كلمات مسهبة (مفصلة) برغم من أن أقوالا مثل (متى ١١:٢٧) تقترب من ذلك.ويوجد =

إنهم يعلمون جيدا من واقع كتبهم المقدسة التى يقولون أن الله أنزلها إليهم(؟!) أن لله أبناء (بمعنى الرسل والأنبياء فى اللسان العبرى) لا حصر لهم[1]. إذن وفقا لسجلات أهل الكتاب فكل إنسان صالح يتبع مشيئة الله

= بعض الحالات حيث يبدو أن الأناجيل تردد صدى (معنى) الإشارات الأكثر تعميما عن البنوة الإلهية فى العهد القديم بمعنى " مفضل أو ممتاز من (بنى إسرائيل)(Prerogative of Israel) أو بمعـــــنى "المؤمن الحقيـــــقى" (True believer) راجع دائرة المعارف البريطانية (م ١٣ - ص٢١) (طبعة ١٩٦٤ بعد المسيح).

أما عن الفقرة المستشهد بها أعلاه فهى ماينسب إلى المسيح من قوله: " كل شىء رفع إلى من أبى وليس أحد يعرف الإبن إلا الآب. ولا أحد يعرف الآب إلا الإبن ومن أراد الإبن أن يعلن له". (متى ١١:٢٧) فلا تعدو - إن صحت - أن تكون قد استعملت هنا على المجاز ، مثلها فى ذلك مثل استعمالات أخرى للمسيح يقول فيها " إنى ذاهب إلى أبى وأبيكم".

ومن هنا نجد أنه لم يقصر استعمال تعبير " الأبوة الإلهية" لنفسه. ومن ثم نجد أن التعبير تعدى الاستعمال الشخصى لغيره. إذن فالمسيح لم يفرد لنفسه ولم يفرد وحده بهذا اللقب كما ترى من نفس استعماله اللغوى وتعبيره الشخصى حسب ماورد منسوبا إليه فى الأناجيل (المترجم).

ومنهجه هو " ابن الله" حسب لغة اليهود. فهو تعبير أو مصطلح وصفى مجازى شاع استعماله فى مابين اليهود. والمسيحى يوافق على هذا الكلام ولكنه يجادل بأن الله أبو الجميع مجازا. أما عيسى فهو ابن الله " المولود" وليس ابن الله " المخلوق".

ولده يعنى أنجبه:

Begotten Means Sired

ولن يجرؤ مسيحى مهما كانت منزلته أو مقدار علمه أن يفسر لك المقصود من قوله" مولود غير مخلوق" ، حين يسأل عن ذلك. ولكن أحد المبشرين المسيحيين " أى المنصرين" الأمريكيين قال: " إنها تعنى أن الله أنجبه".

---

(١) أنظر (لوقا ٣:٣٨) و (التكوين ٦: ٢ ، ٤) و (الخروج ٤:٢٢) و(إرمياء ٣١:٩) و (المزامير ٢:٧) و (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٨:١٤).

(God Sired him). ولكنه يزعم فى نفس الوقت أنه كان يفسر معناها وأنه لا يؤمن شخصيا أن الله أنجب ولدا حقا..

وإذا كان المسيحى " الواعى " يقول أن تلك الكلمات لا يؤخذ معناها حرفيا، فلماذا يصر إذن المسيحيون على قولها وترديدها؟

أثر عقيدة البنوة الإلهية على البشرية:

The Effect of the Doctrine of Divine Sonship on Mankind:

إننا نرفض بشدة كلمة « المولود » لأن الولادة فعل من الأفعال الحيوانية، يخص وظائف الغريزة الجنسية الدنيا للحيوان. فكيف نعزو لله مثل هذه الصفة الوضيعة؟

وعلى الرغم من أن هذه الكلمة الخبيثة المهلكة: "المولود" التى دست فى النص بخزى قد طرحت الآن بدون تكلف أو تمسك بالرسميات من النسخة " الأكثر دقة" من الكتاب

المقدس والمعروفة بـ " النسخة القياسية المنقحة"[١] ، (R.S.V) فإن أثر هذه الكلمة ما يزال باقيا فى عقول المسيحيين السود والبيض على حد سواء.

ومن خلال عملية غسل الدماغ [٢] المموهة والماكرة التى أحدثتها هذه الكلمة، فإن المسيحيين البيض يدفعون للشعور بالاستعلاء والتفوق على إخوانهم السود المنتمين

---

(١)إن مصدر عقيدة البنوة الإلهية هو نص (يوحنا ٣:١٦). ويقرأ هذا النص فى " نسخة الملك جيمس"(K. J.V.) كما يلى:

«لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل أو أعطى أو ضحى ابنه الوحيد المولود لكى لا يهلك كل مايؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية».

أما فى« النسخة القياسية المنقحة» (R.S.V) (نسخة ١٩٧١ ب.م) فيقرأ هذا النص كما يلى:

"لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل أو أعطى أو ضحى بابنه الوحيد لكى لا يهلك...إلخ" ولعل القارىء قد لاحظ أن كلمة " المولود"(begotten) الثابتة فى " نسخة الملك جيمس" قد نبذت أو طرحت من «النسخة القياسية المنقحة» باعتبارها تلفيق واختلاق. ولأنها ليست موجودة فى المخطوطات الأكثر قدما (most ancient manuscripts) (المترجم).

(٢) (غسل الدماغ): إشباع الذهن بمجموعة من الأفكار السياسية (العقائد الدينية هنا) ، بدلا من مجموعة سابقة أو إقناع بواسطة الدعاية المورد (١٩٩٠ب.م)

إلى نفس الكنيسة والطائفة.

وبالتالى فإن السود[1] قد أصيبوا بعقدة [2] مستديمة بالشعور بالدونية [3] بسبب تلك العقيدة (عقيدة البنوة الإلهية).

ربائب الله

God's Step - Children:

إن العقل البشرى لا يستطيع أن يتجنب المجادلة بأن

---

(١) (السود): إننى أستخدم هذا الاصطلاح فى إطار ارتباطه بجنوب إفريقية حيث يعتبر كل من هو غير أوروبى أسود بصرف النظر عن كونه إفريقيا أو ملونا (أى خليطا أو هجينا من الجنسين الأسود والأبيض) أو آسيويا، حتى وإن كانت بشرته بيضاء. (المؤلف).

(٢) (العقدة) فى علم النفس: ظاهرة تتولد من الكبت وتصبح ذات وجود مستقل. (المعجم الوسيط)

(٣) (الدونية) : الخسة والاحتقار. من (الدون) : وهو الخسيس الحقير. (المعجم الوسيط).

"الإبن المولود" للإفريقى يجب أن يشبه الإفريقى. وكذلك الأمر بالنسبة للرجل الصينى والهندى.

إذن فمن الطبيعى أن ابن الله المولود يشبه الله. ولو كان الإبن رجلا أبيض ـ كما يقدمه الأوروبيون فى المليارات من الصور لابن الله الوحيد المولود المزعوم التى يوزعونها على الناس، وفى الأفلام السينمائية التى يبدو فيها مخلص النصارى ومنقذهم أشبه بالرجل الأوروبى الأشقر الشعر والأزرق العينين، من الرجل اليهودى ـ فمن الطبيعى أن يكون الأب أيضا رجلا (أو إلها ؟) أبيض. ومن ثم فلدى أجناس الأرض ذات البشرة السمراء ـ دون وعى منها ـ شعور بالدونية متأصل فى نفوسها باعتبارها ربائب الله.

وأى قدر من مستحضرات تجميل الوجه وتفتيح لون البشرة وفرد الشعر مهما كثر لن يمحو هذا الشعور بالدونية.

الله مختلف تماما [1]

Allah is Totally Different

إن الله ليس أسود ولا أبيض. إنه موجود روحى [2] فوق تخيل عقل الإنسان. ولو أنك كسرت القيود الفكرية للإنسان القوقازى (الأبيض) المتأله، فقد كسرت بذلك قيود شعور مستديم بالدونية. ولكن الأغلال الفكرية يصعب تحطيمها: فالعبد نفسه يقاتل من أجل استبقائها.

التفرقة العنصرية فى دور العبادة:

Racial Discrimination in Houses of Worship:

إنه من السهل التحدث عن الزمالة الدينية والإخاء

---

(١) إننى أستأذن المستشرقة والكاتبة الألمانية "زيجريد هونكة" فى إستعارة عنوان كتاب لها صدر مؤخرا فى ألمانيا يحمل نفس العنوان الفرعى لهذه الفقرة. (المترجم).

(٢) يجب على المسلم أن يتجنب تسمية أو وصف ربه بما لم يسم أو يصف به نفسه أو بما لم يسمه أو يصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم. وفيما أعلم لم يرد فى القرآن أو السنة أن الله " موجود روحى" أما علماء الكلام المسلمين فيقولون إن الله "موجود بذاته" (المترجم)

الإنسانى. ولكن يوجد اليوم فى جنوب إفريقية ألف طائفة وملة مختلفة بين البيض (أهالى السلالة الأوروبية) وثلاثة آلاف طائفة وملة مختلفة بين السود (أهالى السلالة الإفريقية).

وحتى هذه اللحظة لا يستطيع السود والبيض والملونين والهنود أن يصلوا معا فى أغلب الكنائس الهولندية البروتستانتية فى جنوب إفريقية.

وقد عبر الإمبراطور المسيحى جوليانوس بدقة عن الكراهية بين الطوائف المسيحية فقال:

" لا توجد وحوش مفترسة تتسم بالعداوة للإنسان كعداوة الطوائف المسيحية بصفة عامة لبعضها البعض" .

(راجع ص ١٨ من كتاب: "روح الإسلام" لسيد أمير على).

عالمية الإسلام:

The Universality of Islam:

إن بلال الحبشى وسلمان الفارسى وعبد الله بن سلام اليهودى كانوا من أوائل المهتدين إلى الإسلام من غير العرب.

وقد يقول الشكاكون إن انتشار الإسلام كان مجرد مصادفة ولكن ماقولهم فى الحقيقة التاريخية التى تشهد بأن محمدا صلى الله عليه وسلم قد أرسل قبل وفاته خمس رسائل إلى جميع البلدان المحيطة بجزيرة العرب يدعوهم فيها إلى الإسلام؟

فقد بعث برسالة إلى كسرى إمبراطور فارس ورسالة إلى المقوقس (عظيم القبط) وملك مصر ورسالة إلى نجاشى الحبشة ورسالة إلى هرقل إمبراطور الروم بالقسطنطينية ورسالة إلى ملك اليمن.

وبهذا يضرب لنا محمد صلى الله عليه وسلم مثلا فى

تبليغ الرسالة السماوية التى أسندت إليه وفى " عظم الغاية" وإصلاح البشرية كلها بهدايتها للإيمان بالله فهل يمكن لأى دين آخر أن يضارع الإسلام؟

إن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يبعث لكى يسجل أو يحطم أرقاما قياسية ولكنه بعث لكى يقوم بالمسئولية التى كلفه بها رب العالمين.

الصراط المستقيم:

The Staright Path

ومن السهل أن يتشدق أتباع الديانات المختلفة بالكلام عن " أبوة الإله" (مجازا لجميع البشر باعتبارهم عياله) (The Fatherhood of God)

و" الإخاء بين البشر" (The Brotherhood of Man).

ولكن كيف لهذه الفكرة أن تتحقق؟

وكيف يمكن لأى نظام مبتكر أن يجمع البشرية فى إخاء واحد؟

إن المسلمين مفترض عليهم الاجتماع سويا خمس مرات

يوميا بالمسجد المحلى (مسجد الحى) لكى يقووا أنفسهم من الناحية الروحية أو الدينية.

ويصطف المسلمون السود والبيض، الأغنياء والفقراء، شعوب من جنسيات شتى وألوان مختلفة، بحيث تتماس أكتافهم فى صلاتهم اليومية. ويجتمع المسلمون أسبوعيا يوم الجمعة بالمسجد الجامع فى اجتماع أوسع (صلاة الجمعة) يأتى إليه الناس من الأحياء المحيطة. كما أنهم يجتمعون تجمعا ضخما مرتين سنويا فى العيدين فى مكان أكثر اتساعا ويفضل أن يكون فى الخلاء.

وهم يجتمعون مرة فى حياتهم على الأقل عند الكعبة المسجد الإمام [1] (the Central Mosque) فى مكة تجمعا عالميا حيث يشاهد المرء الأتراك الشقر والأحباش والصينيين والهنود والأمريكيين والأفارقة جميعا متساوين فى ملابس الإحرام التى تتكون من إزار ورداء

---

(١) يعنى المسجد الحرام.

غير مخيطين. فهل يوجد فى شعائر الديانات الأخرى مثل هذه التسوية بين أتباعها ؟

المعيار الإلهى لكرامة الإنسان:

The Divine Standard of Human Dignity

والقاعدة السلوكية المعصومة التى قررها الله فى كتابه هى أن المعيار أو المقياس الوحيد المقبول والمعتبر عند الله هو أخلاق المرء وسلوكه تجاه رفاقه من البشر، وليس جنسه أو عرقه أو ثروته.

وتلك هى القاعدة الصادقة الحقيقية الوحيدة التى يمكن أن يؤسس عليها " ملكوت الله":

" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير" (الحجرات:١٣)

الحل الإسلامى لمشكلة العنصرية

ISLAM'S ANSWER TO THE RACIAL PROBLEM

للدبلوماسى الالمانى

محمد أمان أوبوم

Mohammed Aman Hobohm
A German Diplomat

إنه لشرف كبير، أشعر أننى لا أستحقه، ذلك الذى أسداه إلى منظمى هذا المؤتمر بلطف وكرم شديد بدعوتهم لى لأخاطبهم وأشارك بذلك فى مؤتمر أهدافه تنمية علاقات أكثر وثاقة مع المجموعات الدينية الأخرى، وعرض تعاليم الإسلام كما هى فى الحقيقة والواقع، وإزالة سوء الفهم عن (الإسلام) : أكثر الأديان التى أسىء فهمها ، كما قيل عنه فى الغرب[1]، حتى يراه العالم الغربى فى صورته الصادقة والحقيقية.

إننى شاكر جدا لهذا الشرف وأسأل الله القدير عونه وهدايته وإرشاده حتى أستطيع القيام بالمهمة الملقاة على عاتقى بحياد.

---

(١) أنظر مقالا بعنوان « الإسلام: الدين الذى أسىء فهمه" للكاتب والمؤرخ السياسى الأمريكى " جيمس ألبرت مشنر" المولود سنة ١٩٠٧ بعد المسيح وذلك ص ٦٨-٧٠ من عدد مايو سنة ١٩٥٥ بعد المسيح من (الطبعة الأمريكية) من مجلة " ريدرز دايجست" ، نقلا عن النشرة الإنجليزية رقم ٤ الصادرة عن " الندوة العالمية للشباب الإسلامى" بعنوان " مايقولونه عن محمد«ﷺ» . وسوف نقوم بترجمته والتعليق عليه بعون الله قريبا إن شاء الله. (المترجم) وتنشره دار المختار الإسلامى

ولقد طلب منى أن أتحدث عن " الإسلام والعنصرية". وحين أقترح على هذا الأمر قبلته على الفور وبسرور أيضا. وذلك راجع لبعض الأسباب الشخصية جدا التى قد تأذنون لى بلطف أن أذكرها باختصار شديد.

إنه حينما قدمت إليكم فقد أخبرتم بأننى مسلم ألمانى أو ألمانى مهتدى إلى الإسلام. وباعتبارى مواطن ألمانى ولد فى أواخر العشرينات، قضيت طفولتى وشبابى فى ظل نظام حكم سياسى أصبح مرادفا للعنصرية وكل مايصاحبها من محن وشرور وبؤس وشقاء ومعاناة وعذاب وظلم ووحشية، وذلك من خلال الأعمال الوحشية والفظائع الجسيمة والمخجلة - بكل ما فى الكلمات من معان - التى ارتكبت ضد الأقليات القومية ومن خلال الاعتقاد «الدوغماتى» (أى الجازم بغطرسة وبدون مبرر كاف) لنظام الحكم هذا، فى نظرية (العرق أو الجنس السيد)[١] ("Harrenrasse" or Master - Race Theory)

---

(١) يعنى النظرية القائلة بتفوق العرق أو الجنس الآرى (Aryan) أى المنتسب إلى الأصول الجرمانية الهندية أو الأوروبية الهندية. « قاموس تشيمبرز للقرن العشرين».

وهى لا تعنى سوى السيادة المطلقة " للجنس الألمانى" أو الجرمانى على جميع الأجناس والأعراق الأخرى التى تعيش على هذه الأرض.

ولقد جنبت أنا نفسى من أن أكون ضحية لهذه العقيدة البغيضة المهلكة والخبيثة ، وذلك بمصادفة محضة وهى كونى ولدت من أصل ألمانى أو جرمانى، وليس بأى فضيلة أو ميزة شخصية أو ذاتية. وفى ظل نظام حكم عنصرى فإن مصادفة الولادة [١] ولا شىء أكثر ولا أقل، هى التى تحدد حياة المرء أو موته وسعادته أو شقائه وحريته أو رقه واستعباده. وعلى الرغم من ذلك فإننى لا أستطيع أن أنسى ولن أنسى أبدا الفزع والتجاوزات التى ميزت عهد الحكم العنصرى فى بلدى.

ولن أنسى أبدا الألم الشديد وحالة هؤلاء الأغراض

---

(١) يعنى الإنتماء العرقى للمرء هو الذى يحدد مصير المولود فى ظل نظام الحكم العنصرى أو العرقى، وهو كما ترى أمر ليس للمرء أن يختاره كما أنه أمر ليس له دخل فيه. (المترجم)

والأهداف البريئة لهذا النظام الشيطانى وغير الإنسانى الذى يميز ويفصل ويفرق بين الناس، كما شاهدته يمارس حولى فى السنوات التكوينية من عمرى.

إنه انطلاقا من هذه الخلفية والتجارب الشخصية مع العنصرية ومشكلاتها وعواقبها المحفورة فى عقلى وذاكرتى ولا يمكن محوها منهما، فقد قبلت بحماس وعلى الفور الدعوة لكى أشرح - بقدر مايسمح علمى بالإسلام - المفهوم الإسلامى للعلاقة بين البشر، والمثل الأعلى الذى يضربه الإسلام فيما يتعلق بالإخاء الإنسانى وتحقيق هذا المثل فى التاريخ، وذلك فى مقابل التنافر والتخاصم والعداء بين أجناس البشر المختلفة كما تعلم العنصرية وكما يبشر بها وكما تمارس.

دعنى أبدأ باصطحابك فى رحلة مقدسة أو حجة إلى أماكن الإسلام المقدسة فى مكة المكرمة وماحولها وهى موجودة فى يومنا هذا (بالمملكة) العربية السعودية، إلى مدينة (الكعبة) والمسجد الحرام أول بيت يبنى على

الأرض لعبادة الله الواحد الأحد حسب ماجاء فى القرآن الكريم.

إن مكة محل ميلاد النبى الكريم محمد ﷺ وهى المدينة التى تلقى بها وفى جوارها من الله العلى أول الوحى وقسم كبير مما بقى منه.

الحج:

هذه الرحلة المقدسة أو "الحج" كما تسمى فى اللغة العربية هى أحد "الأعمدة أو الأركان الخمسة" ، أى أحد الواجبات الدينية الأساسية الخمس التى يجب على المسلمين أن يقوموا بها.

وبدون أن ندخل فى مزيد من التفاصيل المتعلقة بالشروط التى يجب أن تتحقق حتى يستطيع المرء الشروع فى الحج، أو بالمناسك أو الأعمال التى يجب مراعاتها خلال فترة الحج، دعنى أصف فى بضع كلمات المشهد الذى سوف يتراءى لك فور وصولك إلى الحرم . إنه

مشهد أخاذ جدا ولا يمكن نسيانه. إنك سوف ترى حشدا من الرجال والنساء والولدان، ربما يقارب عددهم المليونين، من جميع أركان العالم، بينهم أسود البشرة وأسمرها وأصفرها وأبيضها: العرب والإيرانيين والأتراك والماليزيين، الصينيين والإفريقيين، الأسود منهم والأبيض، الأمريكيين والأوروبيين (الشقر) ذوى الشعر الأصفر والعيون الزرقاء، وللاختصار دعنا نقتبس بعض الأبيات التى كتبها " فريدريش شيلر" أحد شعراؤنا الألمان العظام:

«من يعرف شعوب، ومن يعرف أسماء كل هؤلاء الذين قدموا إلى هنا سويا ؟ ».

لا تفرقة ولا تمييز:

ومازال هناك المزيد مما يملؤنا بالتعجب وسواء كان الذى رأته عيناك رجلا أسود أو أسمر، أصفر أو أبيض، غنيا أو فقيرا، شابا أو شيخا كبير، فإنهم جميعا ملابسهم متشابهة. فيرتدى كل رجل منهم ثوبين أبيضين غير

مخيطين مصنوعين من خامة أو قماشة بسيطة ساذجة[1]، وبذلك تتلاشى تماما كل علامات ودلائل التفرقة والتميز بسبب اللباس بين الإفريقى والأمريكى والآسيوى والأسترالى والأوروبى، وبين العظيم والثرى من جهة وبين الفقير والوضيع من جهة أخرى. فقد جاؤوا إلى هذا المكان كإخوة وأخوات ليشهدوا على إخاء البشرية وأن البشر اخوة وأنهم متساوون أمام خالقهم، وعبادته وذكر مجده هما اللذان جا ءا بهم إلى هذا الموضع.

فقد سمعوا وأطاعوا وأجابوا ووعوا دعوته (سبحانه وتعالى) وخرجت تلبيتهم[2]، بل إنهم صرخوا كلهم جميعا

---

(١) (الساذج) : الخالص غير المشوب، وغير المنقوش. وهى ساذجة (معرب، فارسيته: ساده). (المعجم الوسيط)

(٢) التلبية منسك من مناسك الحج وهى شعاره ودليل الإحرام. " ويقال: لبيك: لزوما لطاعتك. أو إلبابا بعد إلباب، وإقامة بعد إقامة، وإجابة بعد إجابة. أو معناه: إتجاهى إليك وقصدى وإقبالى على أمرك. مأخوذ من قولهم: دارى تلب داره: تواجهها وتحاذيها، وهو مصدر منصوب ثنى على معنى التأكيد. و(لبى) بالحج: قال: لبيك اللهم لبيك». (المعجم البسيط)

بها معلنين بكل قوة ووضوح، وصدى صوتهم يتردد بين الجبال المحيطة:

" لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك. لا شريك لك".

إن الحج إلى مكة هو بمثابة تجمع ضخم للمؤمنين من جميع القارات الخمس. وربما يكون وقوف جموع العابدين سويا من كل الأجناس بصعيد واحد فى وادى عرفه هو أكثر المشاهد تعبيرا ورمزا ودلالة على وحدة البشرية وإخائها كما يعلنها ويبينها ويدعمها الإسلام. والحج أيضا رمز ودليل على أن البشر متساوون أمام الله الموجود الأعلى[١]، كما يعلم هذا الدين.

إن فكرة ومفهوم وحدة البشر هى مساهمة الإسلام الفريدة لحضارة الإنسان. وقد جاءت كنتيجة فطرية أو طبيعية لعقيدته الرئيسية، عقيدة " التوحيد" ، وهى

---

(١) راجع تعليقنا بالهامش رقم (٢) من هذا الكتاب.

العقيدة التى تظهر بوضوح من خلال كل تعاليم القرآن الكريم والتى تعبر عنها سورة " الإخلاص" تعبيرا موجزا جامعا محكما.

(قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد *) (الإخلاص:١-٤).

الرب:

إن الله الواحد الأحد هو مبدع الوجود كله. إنه خالقنا وإنا لله (مخلوقين ومملوكين) وإنا إليه راجعون. وهو (سبحانه وتعالى) أكثر من مجرد مبدع وموجود وخالق: فهو أيضا " رب " خلقه (His creation) ومخلوقاته (His creatures)

ووفقا للإمام راغب[1] أحد الخبراء العظام فى لغة القرآن الكريم، فإن كلمة رب تعنى : " الذى يرعى ويعتنى

(١) جاء فى الأصل "إمام راغب" وربما يشير الأستاذ محمد آمان أوبوم إلى «الراغب الأصفهانى» صاحب كتاب المفردات.

بالشيء بالود والحب ويمده بأسباب الحياة ويرزقه وينشئه ويربيه بحيث يجعله يبلغ حالا بعد أخرى حتى يصل به إلى منتهاه من الاكتمال والكمال" «ومن ثم فإن الله هو » رب العالمين" كما هو موصوف فى فاتحة الكتاب، الذى خلقنا جميعا".

وهو يعاملنا جميعا بالمثل، بصرف النظر عن العرق أو الجنس (race) والأمة أو الشعب (nation) والقبيلة والأصل أو النسب (parentage) الذى ننتمى إليه، لأنه خلقنا جميعا متماثلين.

كما أن الله (سبحانه وتعالى) يزيد هذه المسألة وضوحا فى كثير من آيات القرآن الكريم فى مثل قوله تعالى:

(كان الناس أمة واحدة) (البقرة: ٢١٣).

فنحن جميعا أبناء آدم وآدم خلق من تراب.

ومن هنا خرجت للمرة الأولى فى تاريخ البشرية فكرة الأصل المشترك لجميع البشر. ولأن أصلنا مشترك ولأننا بلا استثناء (مخلوقين ومملوكين) لله (سبحانه

وتعالى) الذى إليه منتهانا ، فالبشرية إن هى إلا أسرة وأمة واحدة يجب عليها أن تشكل أخوة واحدة، هى الإخاء الإنسانى العالمى.

إن اختلافات اللون واللغات والبنية الجسمانية والملامح لا ينظر إليها باعتبارها اختلافات فى كرامة الإنسان أو منزلته الاجتماعية "(quality)ولا باعتبارها علامات أو دلائل ودرجات للامتياز الاجتماعى-degrees of excel) (lence ولكن باعتبارها تعبير عن التنوع فى الخلق.

يقول الله تبارك وتعالى فى القرآن الكريم:

«ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون * ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون * ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن فى ذلك لآيات للعالمين *». (الروم : ١٩ - ٢١)[١].

---

(١) أورد المؤلف هنا الآيتين ١٩ و٢١ فقط من سورة الروم. ورأينا أن نورد الآية ٢٠ أيضا من نفس السورة لأنها مكملة وموضحة لمعنى الرسالة فى السياق كله. فهى تتعرض لمسألة هامة ودقيقة فى الفكر الإسلامى فيما يتعلق =

يقول العلامة عبدالله يوسف على معلقا على هذه الآيات:

" لقد خلق البشر جميعا من زوج واحد من الآباء ولكنهم انتشروا فى أقاليم مختلفة المناخ وأحدثوا أو طوروا (developed) لغات مختلفة واكتسبوا بشر[1] ذوات درجات مختلفة فى اللون. ومع ذلك فإن وحدتهم الجوهرية لم تتبدل ولم تتغير. فهم يشعرون بطريقة متماثلة فمشاعرهم متشابهة وهم سواء تحت حفظ الله ورعايته وعنايته".

ومهما يكن البلد الذى يعيش فيه الناس ومهما تكن

= بأصل البشرية، ألا وهى أن البشر - ذكورا كانوا أو إناثا - بعضهم من بعض إلى جانب أن أصلهم واحد هو آدم عليه السلام، وهو مخلوق من تراب. وهم لذلك سواء ومتماثلين أنظر ص ١٨، ١٩ من هذا الكتاب. راجع أيضا ص ٦١ - ٦٣ من كتاب (محمد صلى الله عليه وسلم المثال الأسمى) تأليف الأستاذ أحمد ديدات والأستاذ ك. س. رامكرشنة راو أستاذ الفلسفة بجامعة ميسور فى الهند وانظر أيضا تعليقاتنا بالهامش رقم (٢) ص ٦١ ورقم (١) و (٢) ص ٦٢ من الكتاب المذكور وقد صدر ضمن سلسلة (مكتبة ديدات" نشر المختار الإسلامى بالقاهرة. (المترجم).

(١) (بشر) : جمع واحده: بشرة.

اللغة التى يتكلمونها ومهما يكن لون بشرتهم فهم يعتبرون أسرة واحدة ويعيشون منتشرين تحت سقف واحد هو سقف السماء ومع هذا فأصلهم مشترك.

يقول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم:

"«يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء..».

(من الآية ١ من سورة النساء)

وحدة البشر:

ولكن يوجد من جهة أخرى فى القرآن الكريم آية واحدة لا تقرر فقط الأصل المشترك للإنسان، وتشرح انقسام البشرية إلى شعوب أو أجناس أو أعراق وقبائل، وتخبرنا بأن الغاية والهدف من هذا التقسيم هو الوحدة المطلقة للبشرية، بل إنها تمضى قدما فتبين لنا المعيار والمقياس الوحيد الذى يحكم به الله على الإنسان، ومن ثم يجب علينا أيضا أن نحكم به على رفقائنا من البشر.

وسوف ترى الآن أن هذا المعيار أو المقياس ليس لون بشرته ولا عرقه أو جنسه ولا منزلته الاجتماعية أو طبقته الاجتماعية (Caste) ولا حتى مهارته ودرجة ذكاءه[١]. وإنما هو شيء في مقدور كل إنسان أن يبلغه وينجزه سواء كان أسودا أو أسمرا، أبيضا أو أصفرا، غنيا أو فقيرا، وذلك فقط إذا مابذل الجهد من أجل تعهده بالعناية داخل نفسه.

يقول الله تبارك وتعالى فى القرآن الكريم:

" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير". (الحجرات : ١٣)

ويعلق أحد مترجمى معانى القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية على ذلك بقوله:

---

(١)إن الفلسفة المادية النفعية تقول بوجوب تخليص المجتمع من منعدمى المهارة وقليلى الذكاء باعتبارهم عبء على باقى المجتمع. وهذه أيضا نظرة عنصرية بغيضة . (المترجم)

" إن مبدأ الإخاء بين البشر كما هو معروض أو كما يستنبط هنا هو مبنى على أساس قاعدة عريضة أو واضحة جدا. والخطاب هنا ليس موجها للمؤمنين ولكن للناس عامة، الذين يقال لهم إنهم جميعا مثل أعضاء الأسرة الواحدة وأن تقسيمهم إلى أعراق أو أجناس شعوب وقبائل وعشائر لا يجب أن يؤدى إلى تنافرهم ولكن إلى تعارف أفضل فيما بينهم. وتفوق أو رفعة أحدهم على الآخر فى هذا الإخاء الرحيب، لا يعتمد على العرق أو الجنس ولا على القومية أو الجنسية ولا على الثروة ولا على الطبقة الاجتماعية أو الجاه، وإنما يعتمد على الصلاح والاستقامة وعلى المراقبة الدقيقة للواجبات تجاه الله وتجاه البشر، وعلى العظمة الأخلاقية .

ويمكننى أن أضيف إلى ذلك إنه يعتمد أيضا على قوة إيمان المرء. إيمانه بالله الواحد الأحد لأنه من خلال الإيمان ومن خلال الطاعة والتسليم لإرادة الله فقط، يمكننا أن نصل إلى العظمة الأخلاقية.

إن هـذه الآيـة الـقـرآنـيـة (الحـجـرات:١٣) هـى الحـل الإسلامى للعرقية أو العنصرية وهى الحل الذى لم يبق - بقدر مايتعلق بالمجتمـع المسلم - نصيحة دينية محضة، بل إنها قد كانت بمثابة «الجنازة» التى شيعت التمييز والتـفرقة العـنصرية فى العالم الإسلامى إلى مثـواها الأخير.

ولا يؤيد مانقوله المثال الذى ضربه النبى الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فحسب، بل الأحداث اللاحقة فى تاريخ جميع الشعوب المسلمة والموقف العام للمسلمين حتى يومنا الحاضر أيضا.

إننى أميل، بحكم التجارب الشخصية التى خضتها خلال أسفارى فى جميع الدول الإسلامية تقريبا خلال السنوات الخمس والعشرين الماضية، إلى الإصرار على أنه نتيجة لتعاليم الإسلام هذه، وترجمة هذه التعاليم إلى ممارسة وتطبيق عملى بواسطة النبى الكريم صلى الله عليه وسلم، فإن تغييرا كاملا قد أحدث فى عقول وقلوب

كل من اعتنق الإسلام: يعنى فى عقول وقلوب المسلمين، بحيث أن الاختلافات العرقية أو الجنسية لا تشكل لهم أية مشكلة مطلقا، بل إن أغلبهم تقريبا لا يكادون يشعرون بتلك الاختلافات وبكل التأكيد فإنها قليلا ماتقلقهم أو تزعجهم أو تشعرهم بالحرج.

الأسوة الخلقية الحسنة:

هناك شواهد كثيرة جدا فى حياة النبى الكريم محمد صلى الله عليه وسلم تثبت لنا أنه المثال الكامل والأسوة الخلقية الحسنة فيما يتعلق بتطبيق وتحقيق مبدأ الإخاء بين البشر فى تعاملاته الشخصية مع أتباعه، وفى علاقاته الشخصية مع أتباع الديانات الأخرى أيضا. وكذلك الأمر بالنسبة لجميع الوصايا والتعاليم الأخلاقية فى القرآن الكريم.

ويمكننا أن نقدر بالكامل كم كانت مهمة تثبيت وترسيخ هذا المبدأ بين أتباعه هائلة، فقط إذا نظرنا إلى الحالة

الاجتماعية السائدة فى جزيرة العرب قبل مجيىء هذا النبى الكريم.

ومن أجل توضيح هذه النقطة أو المسألة دعونى أقتبس من كتاب : " البنية أو التركيبة الاجتماعية للعالم الإسلامى"

(The Social Structure of Islam)

لمؤلفه " روبين ليف"[1](Reuben Levy) وهو من غير المسلمين، حيث يقول:

" إن سكان جزيرة العرب، باستثناء قلة من المجتمعات المستقرة الموجودة بداخلها، كانوا قد تشكلوا على مدى الأزمنة القديمة بحيث يكونون مجموعات أو قبائل ترتبط فيما بينها ارتباطا ضعيفا جدا إما من خلال ولائهم لرئيس أو شيخ معين أو من خلال افتراض تحدرهم من سلف

---

(١) اسم هذا المؤلف يشير إلى أنه فى الغالب يهودى وإن كان من الممكن أن تكون ديانته غير ذلك أو أن يكون ملحدا. (المترجم)

مشترك سواء أكان حقيقيا أو أسطوريا.

ولقد كانت استقلالية الوحدات القائمة بذاتها كالخيام أو العشائر داخل كل من هذه المجموعات أو القبائل، تؤخذ دائما كمسألة طبيعية لا جدال حولها. وكان رئيس كل وحدة يعتبر فى منزلته أو مكانته مساويا أو كفوا أو ندا لنظيره فى جميع الوحدات الأخرى.

ولقد كانت سلطة اختيار شيخ القبيلة مع رؤساء العشائر هؤلاء ولم يكن يتطلب هذا المنصب من الناحية النظرية مؤهلات خاصة. ولكن عند التطبيق الفعلى كان من الطبيعى أن يكون للأهواء شأنا قويا لصالح اختيار "الشيخ" من بين أعضاء عائلات أو عشائر معينة.

ولقد كان لهذه العائلات أو العشائر فى زمن ظهور محمد صلى الله عليه وسلم وضع يسمح لهم بالتأثير بشكل كبير داخل المجتمع حتى أنه عند المطالبة بالسلطة يعتبر عامل الأصل أو النسب (The factor of birth) عاملا عظيم الشأن.

وقد كان النسب الكريم هو المعيار الأول للكرامة (nobility) ولم يكن يعتبر أى شخص متوائما مع المعيار المطلوب أو محققا له إلا إذا كانت سلسلة أو شجرة نسبه خالية من أية وصمة وراثية، †(hereditary taint)كأن يكون قد جرى على أسلافه رق أو أن يكونوا من أصل حبشى أو زنجى أو أسود. ولقد كانوا ينزلون هؤلاء الأشخاص منازل اجتماعية متدنية ومن ثم فقد كانوا يجبرون أو يضطرون لقبول أعمال كانت علامة أو دلالة حتمية على كونهم كائنات دنيا (inferior beings).

... وكما قاومت طبقة الشرفاء القديمة فكرة أو افتراض المساواة ببقية العرب، فقد رفض سكان جزيرة العرب ككل الاعتراف بالأجانب كأمراء عليهم". أ.هـ.

إن العرب كانوا يعتبرون أنفسهم جنسا أو عرقا ساميا رفيعا متفوقا. ولم يكونوا يعترفون بالسود إلا كموالى أو رقيق أو عبيد.

ويشير الله سبحانه وتعالى إلى هذه الحال فى الآية التالية من القرآن الكريم:

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) .

(آل عمران :١٠٣).

وفيما يتعلق بالطرق التى أدخلها نبى الإسلام الكريم من أجل تسوية الفروق بين الطبقات الاجتماعية والأجناس والأعراق فى مجتمعه النامى باطراد ، ربما يكون الأجدر بنا أن نذكر الصلاة على وجه الخصوص.

فالمسلمون يلتقون سويا خمس مرات يوميا للصلاة. وقد كان من بين المسلمين الأوائل أشخاص من أشرف العائلات العربية. كما كان من بينهم عدد معتبر من الرقيق أو العبيد السود. وقد كانوا جميعا يقفون فى صلاتهم بين يدى الخالق القدير وأكتافهم متماسة. وحين يسجدون لربهم

كان من الممكن أن تستقر رأس العربى الشريف عند قدمى عبد أسود يصلى فى صف أمامه.

ولم تكن الفروق فى المكانة الاجتماعية يشعر بها سواء فى الصلاة أو فى حضرة النبى الكريم صلى الله عليه وسلم.

الوحدة فى الصلاة:

وقد كان اختلاطهم بحرية فى جميع المناسبات الأخرى على أساس من المساوة الكاملة مجرد نتيجة طبيعية لوقوفهم بجوار بعضهم البعض فى صفوف الصلاة.

ومن ثم فقد كان اجتماعهم للصلاة لله بمثابة المدخل إلى حصول الإخاء بين البشرية...

وكان على أشراف العرب والعبيد السود أن يجتمعوا سويا على أساس من المساواة فى العبادة والاجتماعات الدينية. ولذلك فقد انطبع فى أذهانهم أنهم جميعا

متساوون أمام الله. وبمجرد تشكيل الحياة وفقا لهذه المبادىء فإن ذلك يؤدى إلى نتيجة طبيعية: هى تمتع العبيد السود وأشراف العرب بمكانة متساوية فى المجتمع. وقد اختار النبى الكريم فى المجتمع المسلم الأول، بنفسه بلالا العبد الحبشى الأسود لكى يقوم بالآذان والنداء للصلاة، بينما قام النبى الكريم بنفسه بالإمامة فى الصلاة. وبذلك فإن مهمة المسجد كان يقوم بها رجلين اثنين أحدهم النبى الكريم وهو من أصل ونسب شريف. والآخر بلال العبد الحبشى.

وقد كرر النبى الكريم تأكيده وتقريره لمبدأ المساواة والإخاء بين البشر فى الإسلام فى خطبته المشهورة التى ألقاها فى " حجة الوداع" وهى آخر حجة له قبل أن يلقى ربه. وهو بذلك يترك تلك الخطبة كوصية وتراث مقدس للمسلمين من بعده، الجيل بعد الجيل وحتى يومنا هذا:

ودعونى أقتبس منها مايلى:

"أيها الناس: اسمعوا قولى فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا".

« (أيها الناس) : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم (كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا) (وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم) (وقد بلغت) " (أما بعد)" أيها الناس، فإن لكم على نسائكم حقا، ولهن عليكم حقا.. استوصوا بالنساء خيرا.. (إنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله) ».

« أيها الناس: اسمعوا قولى واعقلوه. تعلمن أن كل المسلم أخ للمسلم، وإن المسلمين إخوة، (فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم) ».

(اللهم هل بلغت)

" الناس سواسية. ألا لا فضل لعربى على أعجمى ولا فضل لأعجمى على عربى إلا بالتقوى". [1]

ولقد وعى المسلمون على مر الأجيال فى كل العصور

---

(١) أنظر صحيح مسلم ـ كتاب الحج ـ باب حجة النبى ص (٨٦٦/٢) رقم (١٤٧).

وعلى مدى التاريخ وصية النبى الكريم والقدوة التى أقامها بنفسه.

وإنه لمن المحال أن أعطى - فى حدود الزمن المخصص لكلمتى - تقريرا مفصلا أو شاملا عن جميع الحقائق والوقائع التى تبرهن على صدق كلامى. ويمكننى فقط أن أذكر بعضها وقد تأذنون لى بأن أفعل ذلك كيفما اتفق:

إن أحد الدلائل المقنعة والحاسمة على العلاقة غير المقيدة أو المتحفظة وغير المحصورة أو المقصورة بين الأعراق والأجناس المختلفة

(unrestrained and unrestricted inter- racial relation

هو التزاوج بين الأعراق والأجناس المختلفة.

(inter - racial marriages)

ومما يؤيد ويؤكد أن هذا التزاوج لم ينظر إليه باستنكار هو حقيقة أن كثيرا من خلفاء الدولة الأموية والدولة العباسية وما لحقهما من الأسر الحاكمة كانت أمهاتهم من

الترك أو اليونان ومن الأحباش أو السود أيضا.

كما أن المكانة الاجتماعية أو الوظيفة أو الرتبة العالية لم تضف على صاحبها امتيازات خاصة أمام القانون. ومن المؤكد أنها لم تكسبه حصانة أو تخوله الإفلات من العقوبة إذا ما عامل إخوانه المسلمين معاملة سيئة أو قاسية. والحادثة التالية التى نقلت إلينا المصادر وقوعها فى خلافة عمر بن الخطاب، ثانى الخلفاء الراشدين بعد وفاة النبى الكريم، لهى المثال على المساواة المطلقة بين الناس جميعا فى الدولة الإسلامية.

المساواة أمام القانون

خرج جبلة بن الأيهم الملك الغسانى بعد إسلامه إلى مكة للحج. وبينما هو يطوف بالكعبة إذا بأحد الحجاج الفقراء الذين يقومون بنفس المنسك يسقط خطأ جزء من ثياب إحرامه على كتفى الملك[1] فاستدار الملك جبلة بغضب ولطمه. فذهب الرجل المسكين

---

(١) تقول إحدى الروايات أن الحاج الفقير داس خطأ على إزار جبلة (المترجم)

إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مطالبا بالعدالة. فأرسل عمر بن الخطاب يستدعى جبلة ويسأله عن سبب قسوته على أخيه المسلم. فأجاب جبلة بأن الرجل الفقير أهانه ولولا حرمة المكان (يعنى الحرم المكى) لكان قد قتله على الفور.

فرد عمر بأن كلام جبلة قد زاد فى بشاعة الإثم أو الجرم الذى اقترفه جبلة، وأنه مالم يعف الرجل المظلوم عن جبلة فسوف يخضع لعقوبة القانون. وعندما أبى جبلة أن يطلب العفو من الحاج الفقير محتجا بأنه ملك، أما الرجل فهو مجرد رجل من عامة الناس،[١] أجاب عمر قائلا: " سواء أكنت ملكا أم لم تكن كذلك، فكلاكما مسلمين وكلاكما متساويين فى نظر الشريعة".

وربما قدمت أسبانيا " الإسلامية" (أو الأندلس) أكثر الأمثلة التوجيهية أو التعليمية عن سياسة الإسلام تجاه الأجناس المختلفة. وأذنوا لى أن أقتبس من كتاب هام هو

---

(١) تقول الروايات أن الملك الغسانى جبلة بن الأيهم رفض الامتثال لحكم الشريعة وهرب ثم ارتد عن الإسلام (المترجم)

: " روح الإسلام" لسيد أمير علي:

" لقد أصدر المسلمون أو المسلمون العرب (Saracens) فور وصولهم إلى أرض أسبانيا " الإسلامية" (أو الأندلس) مرسوما يطمئن ويؤكد لجميع الرعايا ذوى الأجناس المختلفة تمتعهم بمنتهى الحرية بلا تمييز. فقد وضع السويبيين أو السويفيين (Suebi or Suevi)والقوطيين (Goth)

والونداليين[1] (Vandal)والرومان واليهود جميعا على قدم المساواة.وقد صاهر الفاتحون هؤلاء الأجناس بزواجهم من نسائهم .

---

(١) السويبيون أو السويفيون والقوطيون والونداليون شعوب وقبائل جرمانية قديمة ووثنية كانت مستقرة ومستوطنة شمال وشرق ألمانيا ثم اجتاحت بلاد الغال (فرنسا القديمة) وأسبانيا وشمال إفريقية وإيطاليا خلال القرون الأولى بعد المسيح. وقد استولى الونداليون على روما سنة ٤٥٥ بعد المسيح ونهبوها ودمروا الكنائس. وقد أسسوا ممالك فى إيطاليا وفرنسا وأسبانيا. وقد اعتنق بعض ملوكهم المسيحية على المذهب الكاثوليكى. وتحول بعضهم إلى مذهب آريوس. أنظر " دائرة المعارف البريطانية" (م ٢١ - ص ٥١٤ (حـ) طبعة ١٩٦٤ ب. م.) و " قاموس تشيمبرز للقرن العشرين " (١٩٧٣ ب.م) و " المورد" (١٩٩٠ ب. م (المترجم)

... إن إخلاص المسلمين العرب وأمانتهم بحفظهم لوعودهم والعدالة التى حكموا بها جميع الأجناس والطبقات بالتساوى وبلا تمييز من أى نوع، ضمنت وحازت لهم ثقة الناس فيهم.. وقد كان اليهود أكثر المنتفعين بهذا التغيير فى نظام الحكم" أ.هـ.

وقد تركت أعداد لا حصر لها من اليهود البلاد حينما انتزعت أسبانيا " الإسلامية" (أو الأندلس) مرة أخرى بواسطة الملك فرديناند وزوجته إزابيلا، لاجئين إلى بلاد المسلمين، مفضلين حياة المغترب فى ظل حكم المسلمين على الحياة فى بلادهم تحت حكام جدد لم يقتنعوا بتسامحهم العرقى والدينى.(١)

(١) يعنى من خلال ماعرف فى التاريخ بمحاكم التفتيش (Inquisition) وقد جاء فى قاموس تشيمبرز للقرن العشرين أنها : " محكمة نصبتها الكنيسة الكاثوليكية لاكتشاف وقمع ومعاقبة الهرطقة والكفر إلخ" ولفظ " إلخ" ليس من عندى بل هو من تعريف القاموس المذكور. وإذا نحن حاولنا الكشف عن معناه من واقع التاريخ فيمكننا باختصار أن نشير إلى أن معناه إكراه غير المسيحيين فى الأندلس وهم المسلمين واليهود على اعتناق المسيحية على المذهب الكاثوليكى وإذا لم يقبلوا هذا فإن التاريخ يقول لنا إنه كان عليهم أن يختاروا بين اثنين لا ثالث لهما : إما الجلاء وإما التعرض لأبشع المجازر فى التاريخ لا يضاهيها فى العصر الحديث إلا ممارسات النازية مع اليهود والصهيونية اليهودية مع العرب فى فلسطين.والصليبية الصربية الجديدة مع المسلمين فى البوسنة والهرسك. (المترجم)

التسامح الدينى:

إن التسامح الدينى هو مظهر آخر من مظاهر مبدأ الإخاء بين البشر كما تصوره وأعلنه الإسلام.

إن الموقف الجوهرى للإسلام من أتباع الديانات الأخرى يتجلى فى عهد الذمة الذى أعطاه النبى الكريم لليهود بعد وصوله إلى " يثرب" أو المدينة، وفى الرسالة التى بعث بها إلى نصارى نجران إحدى مدن جنوب الجزيرة العربية التى كان أغلب سكانها من النصارى. وذلك بعد استقرار الإسلام تماما فى جزيرة العرب.

تقول أول وثيقة لحرية التدين والاعتقاد: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المؤمنين من قريش ويثرب [١] ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم. أنهم أمة واحدة من دون الناس. وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة[٢]غير مظلومين ولامتناصر عليهم... وإن

١) يثرب الإسم القديم للمدينة

(٢) الأسوة: أى المساواة فى العاملة.

اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين . وأن يهود (بنى عوف) أمة مع المؤمنين. لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم (إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ[1] إلا نفسه وأهل بيته. وأن ليهود بنى النجار ويهود ثعلبة ولجفنة ولبنى الشطيبة [2] مثل ماليهود بنى عوف. وأن موالى ثعلبة كأنفسهم) وأن بطانة يهود كأنفسهم...

وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة. وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم. وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه. وأن النصر للمظلوم. وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين. وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة. وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم).

---

(١) يوتغ: يهلك ويفسد.

(١) كتاب " روح الإسلام" لسيد أمير على.

هذا هو مضمون وثيقة الحقوق التى منحها الرسول الكريم لليهود بعد وصوله إلى " يثرب" القرية التى أصبحت تسمى فيما بعد بمدينة النبى[1] تيمنا به، وتسمى أيضا " المدينة" اختصارا.

أما الرسالة التى بعث بها الرسول الكريم إلى نصارى نجران قرب آخر زمان بعثته فتقول (مامعناه):

الرسالة إلى النصارى:

« (بسم الله الرحمن الرحيم) من محمد رسول الله إلى نصارى نجران وماجاورها لهم أمان الله وذمة رسوله لأنفسهم ودينهم وأموالهم للحاضر منهم والغائب وآخرين غيرهم لهم عباداتهم وأعيادهم ولن يعزل مطران أو أسقف من مطرانيته أو أسقفيته ولا راهب من صومعته ولا كاهن من كهانته وسوف يستمرون فى تمتعهم بكل شىء كبر أو صغر كما كان الأمر من قبل. لن تدمر أو تمحى

---

(١) فى البداية والنهاية لابن كثير: (ولبنى الشطنة).

صورهم أو تماثيلهم ولن تكسر صلبانهم لا يظلمون ولا يُظلمون. ولن يمارسوا حق الثأر لذوى القرابة كما كان الأمر فى الجاهلية ولن ترفع عنهم ألقابهم ولن يطلب منهم إمداد أو تزويد الجنود أو الجيوش بالمؤن».

ويبدى سيد أمير على ملاحظاته الآتية فى كتابه الذى اقتبسنا منه من قبل فيقول:

لقد كانت هذه الوثيقة بمثابة القاعدة الهادية والمرشدة لجميع الحكام المسلمين فى أسلوب تعاملهم مع رعاياهم من غير المسلمين. ولو أنهم حادوا عنها فى أية ظرف فإننا سنجد أن السبب فى ذلك يكمن فى شخصية الملك المعنى.

ولو أننا فصلنا بين الحاجة السياسية التى كانت تتحدث وتعمل باسم الدين، فإننا سنجد أنه ليس هناك دين أكثر تسامحا مع اتباع العقائد والديانات الأخرى من الإسلام.

وقد تكون " دواعى الحكم" (Reasons of state)

قد أدت بأن يظهر بعض الملوك هنا وهناك قدرا محددا من التعصب أو عدم التسامح أو الاصرار على بعض القدر

من الوحدة العقائدية أو الدينية (a certain uniformity of faith) ولكن نظام الحكم نفسه احتفظ على الدوام بأكمل أشكال ودرجات التسامح. وبصفة عامة لم يتعرض اليهود والنصارى أبدا لأى مضايقة متعمدة فى عبادتهم أو ممارستهم لشعائر دينهم أو إكراه من أجل تبديل دينهم. وحينما كانت تفرض عليهم الجزية فقد كانت تدفع بدلا من الخدمة العسكرية. وإنه لمن الصواب والحق أن يساهم أولئك الذين يتمتعون أو ينعمون بحماية الدولة، بشكل ما فى الأعباء العامة.

وقد كانت هناك من الناحية النظرية صرامة أكثر فى التعامل مع الوثنيين أو المشركين، ولكن عند التطبيق كان القانون مرنا أو حرا يعامل الجميع بالتساوى. وإذا حدث أنهم فى أى وقت فى الأوقات تعرضوا إلى معاملة قاسية، فإننا نجد السبب فى أهواء حاكم السكان أو الجماعة، وأن العنصر الدينى قد استخدم كحجة (pretext) فقط.

وإذا كانت هناك حالات من التعصب الديني في تاريخ الشعوب المسلمة، فيجب أن نفهم جيدا وبوضوح أن ذلك لم يحدث بسبب الإسلام ولكنه حدث عصيانا لأوامر الإسلام واستخفافا به وكدلالة فقط على الافتقار إلى المعرفة بتعاليم الإسلام، وإلى فهم هذا الدين ومبادئه.

إنك قد تعارضني هنا فتقول إن فكرة المساواة بين الأجناس أو الأعراق والإخاء بين البشر ليست حكرا أو وقفا على الإسلام، بل إن هذه الأفكار قد سبق إعلانها بواسطة أفراد و " إيديولوجيات" أو مذاهب فكرية وضعية مختلفة، في أماكن وأزمنة مختلفة من عالمنا. وإنك قد تود الاقتباس - كما اقتبست لك - من المؤلفات المقدسة (أي الدينية) (sacred) والمؤلفات الأرضية الدنيوية (أي البشرية غير المقدسة أو غير الدينية)(profane) ، لمؤلفين ذوي اتجاهات شتى، وسوف تصر بالتأكيد على أن العالم الغربي في أوروبة وأمريكا قد قبل وتبنى هذه

الفكرة باعتبارها قاعدة أو سياسة من قواعد أو سياسات المجتمع المنظم منذ القرن الثامن عشر على أكثر تقدير، وذلك حينما بزغ فجر عصر التنوير وأطلقت الثورة الفرنسية صيحة : " الحرية والمساواة والإخاء!"
.(Liberte Egalite , Fraternite !)

المساواة الفعلية:

من المؤكد أنه لا يمكننى أن أزعم ولن أزعم أن فكرة المساواة بين الأجناس أو الأعراق والأخاء بين البشر من ابتكار الإسلام، وأنها أعلنت فقط بواسطة هذا الدين ولم يعلنها أحد غيره. ولكنى أزعم وأصر على أن هذه الفكرة لم تتحقق فعليا أبدا إلا فى العالم الإسلامى ومن خلال الإسلام ولقرون طويلة وبين شعوب وأجناس أو أعراق شديدة الاختلاف والتباين.

وعلى الرغم من الأفكار الرفيعة لعصر التنوير والثورة الفرنسية فإن العالم الغربى لم يحل مشكلة العنصرية أو العرقية، كما أن العالم الغربى لم يستطع حتى هذا اليوم

إقامة وترسيخ (establish) المساواة بين الأجناس والأعراق في كل مكان من العالم الغربي.

ولقد مر بالكاد ثلاثون سنة على سحق العنصرية أو العرقية - التي أشرت إليها في بداية حديثي - في بلدي وهي العنصرية التي تفاقمت حتى أصبحت فلسفة حكم للدولة، وهي أشد المسالك العنصرية التي يمكن تصورها، وحشية وهمجية.

ومازال يسمح للعنصرية أو العرقية أن تطل بوجهها القبيح في جنوب إفريقية في شكل سياسة " الأپارتايد" (١) (apartheid) (أي الفصل العنصري).

والمؤكد أن العنصرية أو العرقية لم تستأصل في

(١) (الأبارتايد): كلمة تعني حرفيا الانفصال في اللغة الأفريقانية (لغة سكان جنوب إفريقية المتحدرين من أصل هولندي وفرنسي) ويقصد بها (سياسة) الفصل والتفرقة السياسية والاقتصادية ضد المجموعات غير الأوروبية (وتضم الأفارقة السود، سكان البلاد الأصليين والهنود والملونين وهم النسل الهجين للمجموعات العرقية الثلاثة، يعني: السود والبيض والهنود) في جمهورية جنوب إفريقية. "" قاموس وبستر الجديد للطلبة" طبعة الولايات المتحدة الأمريكية. (١٩٧٧ ب.م)

الولايات المتحدة الأمريكية على الرغم من إلغاء الرق الذى تم من زمن مضى، وعلى الرغم من التشريع الذى استحدث بعد الحرب العالمية الثانية بهدف تسوية الاختلافات بين المجموعات العرقية المختلفة والتخلص من التفرقة والتمييز العنصرى أو العرقى.

أما فى العالم الاشتراكى فقد استحدث المذهب اللينينى الماركسى أو الشيوعى صنفا ونوعا من العنصرية أو العرقية الخاصة به، وهو مايمكننى أن أسميه (العنصرية «الإيديولوجية» أو المذهبية والفكرية (Ideological Racism)(أى عنصرية المذهب والفكر الوضعى). وهى عنصرية كريهة وبغيضة تماما كالعنصرية " البيولوجية" أو الأحيائية (١).

ولذلك فإننا كلما تدبرنا الأمر ونظرنا فيه بجد وجدنا أن

---

(١) يعنى المستندة إلى الفروق المتعلقة بعلم الأحياء فيما يختص بالجنس أو العرق ولون البشرة والصفات الوراثية الأخرى. (المترجم)

أفكار عصر التنوير والثورة الفرنسية وإعلان الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، وهو يعتبر آخر المحاولات للوصول إلى المساواة بين الأجناس والأعراق وإلغاء التفرقة أو التمييز العنصرى أو العرقى، أخفقت كلها فى تحقيق أهدافها، بينما حقق الإسلام ذلك بكل تأكيد.

قد تسمحون لى فى هذا الموضع أن أروى لكم كمسلم بعض تجاربى الشخصية:

لقد ذكرت لكم من قبل أننى فى خلال الخمس والعشرين سنة الماضية تقريبا زرت جميع البلدان الإسلامية تقريبا. وقد عينت للعمل لفترات طويلة أو قصيرة فى حوالى ست من تلك البلاد وحيثما ذهبت فإن مسلمى تلك البلاد قد قبلونى باعتبارى واحدا منهم.

وقد كان أثر انتمائى الدينى عليهم أقوى وأعمق - ولا يمكن مقارنته - بأثر قوميتى ووطنيتى أو جنسيتى أو

لون بشرتى عليهم، بل الواقع أن هذه الاعتبارات الأخيرة لم يكن لها مطلقا أية عواقب فى مواقفهم وتصرفاتهم معى. وحينما تزوجت إحدى السيدات الشابات المسلمات من باكستان منذ أكثر من اثنين وعشرين سنة، فإن ذلك لم يسبب لأهل زوجتى أو لنا نحن الزوجين الشابين أدنى حرج. وقد قبل زواجنا بشكل طبيعى كأى زواج بين اثنين من الباكستانيين. ولم ينظر أحد أقاربى أو أصدقائى إلى أبنائى أو يعاملهم كالمولدين أو الهجائن [1] (half- caste) بالمدلول القبيح لكلمة المولد أو الهجين. ولم يشعر أبنائى أبدا بأنهم مختلفين عن الباكستانيين الخالصى النسب أو الألمان الخالصى النسب. إن أبنائى الذين شبوا وترعرعوا بين المسلمين لم يعرفوا أبدا الفروق أو الخلافات العنصرية أو العرقية.. نعم، إلا عقب إحدى

---

(١) (الهجائن): جمع واحده (الهجين): (وهو) نبات أو حيوان ينتج عن تزواج نوعين أو سلالتين أو صنفين مختلفين (المعجم الوسيط). ويقصد به فى حالتنا الأولاد الناشئين من والدين من جنسين أو عرقين مختلفين. (المترجم)

تنقلاتى الكثيرة بحكم عملى من بلد إلى آخر واضطرارنا للإقامة مؤقتا فى جنوب إفريقية.

وقد شاهد أبنائى هناك لأول مرة فى حياتهم تلك اللافتات القبيحة التى تقول: " للبيض فقط". وهنالك أدركوا أنه فى دولة تسودها وتحكمها العنصرية أو العرقية لا يستطيع " أحمد" أن يلعب كرة القدم فى نفس الشارع مع " جون"، وأن " ليلى" لا يمكنها أن تزور " لندا" لترى وتبدى إعجابها بلعبتها أو دميتها أو عروستها الجديدة[١].

ولا تسأل عن حجم الصدمة التى أصابتهم عندما رأوا أبويهم يدخلان من أبواب مختلفة بمكتب البريد لمجرد شراء طوابع البريد.

ووقف أبنائى أمام إحدى الكنائس الرائعة البنيان فى فترة

---

(١) يشير المؤلف هنا إلى الفصل والتفرقة الاجتماعية فى ظل نظام الحكم العنصرى. (المترجم)

الاحتفال بعيد ميلاد السيد المسيح .[1] وارتاحت عقولهم الحائرة عندما قرأوا دعوة مكتوبة بحروف واضحة على باب الكنيسة تقول : «مرحبا بالجميع» وفجأة لاحظوا مرة أخرى اللافتة القبيحة مكتوبة ولكن بحـــروف صغيرة تقول : " للبيض فقط!".

إذن حتى هنا فى بيت الله وخلال عيد ميلاد السيد المسيح: عيد الفرح والمودة والحب أو المحبة، لم يكن هناك مايعبر الهوة السحيقة بين البشر الذين يشتركون فى كل شىء عدا لون بشرتهم [2].

نجاح الإسلام:

لماذا إذن نجح الإسلام حيث يبدو أن جميع النظم

---

(١) تحتفل الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة البروتستانتية بعيد ميلاد السيد المسيح فى اليوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر . أما الكنائس الأرثوذكسية مثل الكنيسة القبطية والكنيسة اليونانية والكنيسة الروسية فتحتفل بميلاد السيد المسيح فى اليوم السابع من شهر يناير.

(٢) راجع ماقاله الأستاذ احمد ديدات ص ٣٩ و ٤٠ من هذا الكتاب عن التفرقة العنصرية فى دور العبادة فى جنوب إفريقية.

و"الإيديولوجيات" أو المذاهب الفكرية الوضعية قد أخفقت؟ وماسر نجاح الإسلام؟ وكيف يمكن لهذا الدين أن يساهم فى حل المشكلة العنصرية التى مايزال يعانى تحت وطئتها الملايين والملايين من إخوتنا فى الإنسانية؟

إن الإسلام - فى رأيى المتواضع - نجح حيث أخفقت النظم و"الأيديولوجيات" أو المذاهب الفكرية الوضعية الأخرى لسببين حاسمين هما: عالمية مبادئه وتعاليمه والقدسية الإلهية التى يرتكز عليها المفهوم الإسلامى للإخاء بين البشر.

إن المسلم لا يؤمن فقط أن الإسلام آخر أديان العالم الكبرى، ولكنه أيضا دين شامل يحيط بجميع نواحى الحياة ويتضمن جميع الأديان السماوية السابقة عليه (ويهيمن عليها).

إن إحدى أكثر مميزات هذا الدين إثارة للدهشة هى أنه يتطلب من أتباعه أن يؤمنوا بأن الله أنزل جميع رسالات العالم السماوية الكبرى السابقة عليه.

كما أن وجوب إيمان المسلم بجميع الأنبياء الذين جاءوا

قبل محمد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، مبدأ أصولى من مبادىء الإسلام. ووفقا للتعاليم الواضحة والدقيقة فى القرآن الكريم، فإن الله قد أرسل الأنبياء إلى جميع الشعوب.

يقول سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم:

(.. إنما أنت منذر ولكل قوم هاد). (الرعد: ٧)

وبينما بعث الأنبياء السابقين برسالات أو مهام محدودة إلى أقوامهم فقط، بعث محمدا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى كافة شعوب الأرض كما علمنا الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم:

(يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم...) (النساء: ١٧٠)

ويقول تبارك وتعالى فى موضع آخر:

(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (الأنبياء: ١٠٧).

يقول العلامة يوسف على فى تفسيره لهذه الآية المختارة: " ليست المسألة الآن مسألة العرق أو الجنس ولا مسألة الشعب (الذى ينتسب إليه المرء) ولا مسألة الانتساب إلى " شعب مختار" ولا إلى «ذرية إبراهيم» ولا «ذرية

داود » ولا الانتماء إلى الأصول الفارتا - آرية الهندية (Hindu Arya-Varta) ولا إلى الأصل اليهودي ولا الأممى (أى غير اليهودى) ولا إلى الأصل العربى أو الأعجمى ولا إلى الأصل التركى أو الطاجيكى ولا إلى الأصل الأوروبى ولا الآسيوى ولا إلى الأجناس البيضاء ولا الملونة (سواء أكانت).آرية[١] أو سامية أو منغولية أو إفريقية أو أمريكية أو أسترالية أو من سكان الجزر الكثيرة (البولنيزية)[٢].

إن الرسول الكريم محمد، سلام الله وبركاته عليه قد

---

(١) (الآرية): نسبة إلى (الآرى)(Aryan). والجنس الآرى: جنس تجمعه بعض الخصائص اللغوية والجنسية، بعضه فى الهند وإيران، وبعضه فى أوروبا. (المعجم الوسيط). وجاء فى قاموس تشيمبرز للقرن العشرين" أن (الآرى) هو: " المنتسب إلى الأصول الجرمانية الهندية أو الأوروبية الهندية. وتطلق هذه الكلمة الآن بوجه عام للدلالة على الأصول الهندية أو الهندية والإيرانية». وكلمة : آرى تعنى فى «السنسكريتية» وهى لغة الآداب (الدينية) الهندية القديمة: الشريف أو النبيل (noble) .

(١) سكان الجزر الكثيرة «البولنيزية» (Polynesian): السكان الأصليين ذوى البشرة السمراء لمجموعة جزر تقع بالمحيط الهادى إلى الجنوب الشرقى من قارة استراليا. (المترجم)..

أرسل إليهم جميعا وهذا ما يميزه عن جميع الأنبياء الآخرين وهو ما يميز الإسلام أيضا عن كافة الديانات الأخرى.

لقد كانت الرسالة المنزلة من العلى إلى الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم موجهة إلى جميع شعوب الأرض وقد طبقت المبادىء المعلنة فى هذه الرسالة تطبيقا عالميا على البشرية جمعاء.

ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين. كما أن الإسلام هو التعبير الأخير والكامل عن الإرادة أو المشيئة الإلهية وذلك استنادا إلى وحى الرسالة الذى تلقاه النبى الكريم يقول سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم:

".. اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا.." .(المائدة:٣)، إن الله . وهو الموجود الأعلى[١] (the Supreme Being) وهو مسبب

(١)راجع تعليقنا رقم (٢) بالهامش ص من هذا الكتاب.

الأسباب (the Ultimate Cause) وهو الواحد الأحد: ربنا وخالقنا، هو نفسه الذى كلمنا من خلال فم النبى الكريم محمد صلى الله عليه وسلم [1] بتلك الكلمات التى اقتبستها من قبل فى موضع سابق والتى أود أن أذكر نفسى بها وإياكم وهى:

" كان الناس أمة واحدة.." البقرة:٢١٣ " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير " .(الحجرات :١٣).

إن المساواة والإخاء بين الناس وبالنسبة لجميع المسلمين، ليسا من اختراع وإبداع العقل البشرى. وإنما هما مبادىء هادية ومرشدة إفترضها وشرعها الله.

إن المساواة والاخاء والحرية هى مقولات أو مفاهيم أو

(١) تشير نبوءة موسى عليه السلام فى سفر التثنية إلى وحى الرسالة الإلهية (القرآن الكريم) وكيف يلقى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كما يلى : (قال لى الرب قد أحسنوا فى ماتكلموا. أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فمه ويكلمهم بكل ما أوصيه به" (التثنية ١٨: ١٧: ١٨).

معايير دينية إسلامية كما تظهرها تعاليم الإسلام.

ولا يمكن لهذه الأفكار السامية أن تتحقق فى دنيا الواقع إلا حينما ينظر إليها بهذا الاعتبار.

ولا سبيل إلى توحيد البشرية، ولا سبيل إلى إخاء بين البشر لا يعرف حدودا تتعلق بلون البشرة أو العرق أو الجنس أو الشعب أو الوطن أو الدولة أو اللغة أو المنزلة الاجتماعية، إلا من خلال الإيمان بالله خالق من فى السموات والأرض وربهم.

ولا يمكن لهذه الغاية أن تتحقق أبدا وكما يخبرنا التاريخ، بدون الإيمان المطلق وغير المتحفظ بالله وبصدق رسالته وعالميتها، وبدون الرغبة فى خدمته وعبادته، وهى الغاية التى خلقنا من أجلها، والرغبة فى اتباع أوامره ووصاياه وهدايته.

القيم الثابتة:

الله الصمد وحده وضع قيما ثابتة يمكننا أن نقيم بها

أنفسنا وغيرنا.

" إن أكرمكم عند الله أتقاكم" . (الحجرات :١٣)

وهذا هو المقياس أو المعيار الذى يقاس به المرء فى الإسلام وليس بعرقه أو جنسه أو طبقته أو منزلته الاجتماعية.

إن السلام والثقة المتبادلة بين الأفراد والشعوب أيضا يمكن تحقيقهما فقط إذا ما أسسنا علاقتنا بين البشر على الاعتراف والتمسك الشديد بهذه القيم الثابتة.

إن المذاهب المادية[١] التى أصبحت تمثل الهدف الأعلى بالنسبة للبشر فى العصر الحديث تفتقد إلى جميع المتطلبات الأساسية لأن مفاهيم القيم تتغير حسب هذه المذاهب باختلاف الزمان والمكان.

أما الإسلام فهو القوة الوحيدة التى تزود الإنسان

(١) (المادية): مذاهب تنكر وجود الروح وتقول بأن المادة هى الحقيقة الوحيدة فى الوجود وترفض القيم الروحية أو الدينية .. (المترجم).

بالأسس الروحية أو الدينية والأخلاقية التى يمكن أن يبنى عليها سلاما دائما وثقة واحتراما متبادلين بين شعوب العالم.

إن الإسلام بداية وفى المقام الأول دين عالمى، وفكرة العالمية الرفيعة التى يعلنها الإسلام؛ وهى فكرة المساواة بين جميع الأعراق والأجناس ووحدة البشرية، وهى فكرة أساسها الإيمان بأحدية الله وتفرده (Oneness of God)، كفيلة بأن تمحو لعنة العنصرية والعرقية والقومية المتعصبة، التى كانت ولم تزل مسئولة عن كثير مما يقاسيه العالم القديم والحديث من مشكلات.

إن المجتمع المسلم لم يؤسس فى الماضى والحاضر إخاء حقيقيا ودائما بين أفراده فحسب، وهو الإخاء الذى يشمل ويعم كل من ينتمى إليه بصرف النظر عن الفروق العرقية أو الجنسية أو الاجتماعية، وإنما كشف لنا أيضا بالمثال الذى قدمه لنا، الطريق إلى تحقيق هذا الهدف.

إن نقطة البداية والانطلاق هى الإيمان. إيمان لا تدخله

الريبة بالله رب العالمين. ويقودنا هذا إلى الإسلام لمشيئة وإرادة الله سبحانه وتعالى. وهى المرحلة التى نطيع فيها برضى نفس وسعادة أوامره ونحقق المبادىء التى أرساها الله تبارك وتعالى بنفسه، وذلك بتمثلها فى أفعالنا وسلوكنا.

ثم نصل إلى مرحلة العبادة المتنفلة والخدمة الزائدة للناس. وإذا استعملنا المصطلحات الإسلامية العربية فإن الطريق يقودنا من الإيمان إلى الإسلام (Submission) ثم فى النهاية إلى الإحسان (Goodness)[١]

---

(١) ورد فى الحديث الصحيح أن جبريل عليه السلام جاء النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة رجل أعرابى فسأله: يامحمد ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. فقال: صدقت! ثم سأله: فما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. فقال: صدقت ! ثم سأله: فما الإحسان؟ قال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: صدقت! فلما انصرف أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة أن هذا الإعرابى ماهو إلا روح القدس جبريل عليه السلام جاء يعلمهم دينهم. (المترجم)

وهذا هو الطريق الذى يجب علينا أن نسلكه إذا ما أردنا إحداث احتراما وثقة متبادلين بين الناس. وهو الطريق إلى القضاء على جميع مظاهر التفرقة والتمييز العنصرى والاجتماعى. وهو الطريق إلى توحيد البشرية والإخاء العالمى الذى يشهد له وبه اجتماع المسلمين يوم الحج الأكبر بمكة من جميع الأجناس والأعراق من كل ركن من أركان العالم ومن كل فج عميق. كما أن هذا الاجتماع يؤكد لنا أن وحدتنا هى فى إيماننا وصلتنا بالله وبالله وحده.

وليكن إيمان هؤلاء الحجيج مصدر إلهام وقدوة لنا حتى نتبع سبيلهم. آمين.

مصادر بحث وتعليقات المترجم

أولا: المصادر العربية:

١- القرآن الكريم.

٢- الكتاب المقدس. نشر دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط (١٩٨٧م).

٣- زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن قيم الجوزية.

٤- حياة محمد (صلى الله عليه وسلم) لمحمد حسين هيكل. الطبعة السادسة عشر. نشر دار المعارف (١٩٨١م).

٥- المرأة فى الإسلام للدكتور على عبدالواحد وافى. الطبعة الثانية - مزيدة ومنقحة. نشر دار نهضة مصر بالقاهرة (بدون تاريخ).

٦- الجهاد الإسلامى: دراسة علمية فى نصوص القرآن، وصحاح الحديث، ووثائق التاريخ للدكتور أحمد غنيم. نشر دار الإنسان بالقاهرة (١٣٩٤ ـ هـ ١٩٧٥م).

٧- محمد (صلى الله عليه وسلم) بشارة المسيح (عليه السلام). أحمد ديدات. ترجمة وتعليق محمد مختار.

٨- الله فى اليهودية والمسيحية والإسلام. أحمد ديدات. ترجمة وتعليق محمد مختار. نشر المختار الإسلامى بالقاهرة. الطبعة الثانية (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م)

٩- المسيح فى الإسلام. أحمد ديدات. ترجمة وتعليق محمد مختار. نشر المختار الإسلامى بالقاهرة . الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

١٠ - الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وسلم). أحمد ديدات. ترجمة الأستاذ على عثمان نشر المختار الإسلامى بالقاهرة الطبعة الأولى: (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م).

١١- العرب وإسرائيل صراع أم مصالحة ؟ أحمد ديدات. تقديم الدكتور مصطفى الشكعة ترجمة وتعليق محمد مختار نشر مكتبة النور بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤١١هـ-

١٩٩١م).

١٢- محمد (صلى الله عليه وسلم) المثال الأسمى. أحمد ديدات وك. س. را مكرشنة راو. ترجمة محمد مختار نشر المختار الإسلامى بالقاهرة الطبعة الأولى (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

١٣- ديدات يواجه راعى الكنيسة فى السويد (مناظرة بين الداعية الإسلامى أحمد ديدات والقس المبشر - أى المنصر - ستانلى شوبرج راعى إحدى الكنائس بالسويد جرت خلال شهر أكتوبر سنة ١٩٩١ بعد المسيح فى إستكهولم عاصمة السويد) ترجمة وتعليق محمد مختار. ومعه بحث من تأليف المترجم بعنوان:

" هدم مزاعم المستشرقين فى أسباب تطليق زيد بن حارثة لزينب بنت جحش وزواج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) منها. نشر المختار الإسلامى بالقاهرة. الطبعة الأولى (١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م).

١٤- المعجم الوسيط. نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة الطبعة الثالثة (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م)
١٥ - " المورد" (قاموس انجليزى عربى) نشر دار العلم للملايين. الطبعة الرابعة والعشرون (١٩٩٠م).
١٦ـ صحيفة الأهرام القاهرية بتاريخ ٢٤ ذى الحجة ١٤١٢هـ الموافق ٢٥ يونيو ١٩٩٢م.

ثانيا: المصادر الأجنبية:

1- Encyclopaedia Britannica (1964) New York.
2- Webster New Collegiate Dicnonary (1977) G. & C. Merriam Gompany, Spring Fied Massachusetts, U.S.A.

3- Chambers Twentieth Century Dictionary (New Ed. 1972, Reprint 1973) Allied Publishers Private Ltd, New Delhi, India.